العدد - ٢٧ و٢٨ السنة الثالثة . شعبان ١٤٠٥ هـ . مايو ١٩٨٥ م .

الطليعة الإسلامية



ساحة كل المسلمين

المقاومة الإسلامية: المنطلقات والدوافع

الانسحاب الإسرائيلي: انتصار من ولمن؟

حرب الخليج: الوساطة والتصعيد والحسم



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

(١)

الكراسي الموسيقية في المسألة السودانية

صباح السبت ٦ ابريل الماضي وزعت وكالات الانباء خبر انقلاب الخرطوم الذي لم يفاجىء أحدا حيث أعلن قائد أركان الجيش ــ المعني منذ اسبوعين تقريبا ــ اللواء عبد الرحمن سوار الذهب ان الجيش قد قرر الوقوف الى جانب الشعب وانه استولى على مقاليد الامور في البلاد وان الرئيس النميري ــ ١٦ عاما من السلطة ــ قد أزيح عن مكانه.

في اليوم التالي اصدر الانقلابيون بيانا يوضح الخطوط العامة لسياسة حكومة الانقلاب أكدوا فيه على ان السودان سيبقى دولة غير منحازة وانه سيحافظ على علاقات وثيقة مع مصر وبقية الدول العربية، وان النظام الجديد سيعمل من اجل إعادة وحدة البلاد وتماسكها وبالتالي معالجة الوضع في الجنوب.

رغم ان الحكومة الانقلابية قد عطلت الدستور وأعلنت الاحكام العسكرية إلا أن الضباط لم ينسوا الاشارة المعتادة في انهم لا ينوون البقاء في الحكم وان سلطتهم ستمثل مرحلة انتقالية، فقط تسلم بعدها الامور لحكومة مدنية.

ما الذي يحدث في السودان الآن ! ولماذا كان متوقعا ؟ وأين يقف الاسلاميون من جدول الربح والخسارة واحتمالات المستقبل...

تطور الاحداث في السودان بدأ بقيام الرئيس السوداني جعفر النميري بالهجوم على الحركة الاسلامية في البلاد واعتقال قيادتها وشخصياتها العامة بمن فيهم ذوي المناصب الحكومية والقضائية، وذلك في نفس الوقت الذي نشرت فيه تفاصيل جديدة عن سماح الرئيس السوداني لمن تبقى من اليهود الاثيوبيين مغادرة البلاد الى دولة الكيان الصهيوني.

فكان واضحا في ذلك الوقت ان خطوات النميري قد تمت بناءا على طلب الادارة الاميركية التي سارعت بتقديم الدعم المالي والاقتصادي لحكومة النميري كاشارة لموافقتها ورضائها عن الاجراءات الجديدة.

وفي الوقت الذي غادر فيه النميري الولايات المتحدة ــ للعلاج وطلب المزيد من المساعدات ــ كانت أزمة البلاد السياسية والاقتصادية تتفاقم وتأخذ ما يشبه (ثورة الجياع) الذين انطلقوا من شوارع العاصمة يعبرون عن غضبهم واستيائهم من الحكومة التي لا تستطيع توفير الخبز لرعاياها في الوقت الذي تقتل فيه خيرة أبنائها.

وقد امتد التوتر والغضب الى مختلف القطاعات المهنية بما فيها الاطباء والمحامون وأساتذة الجامعة وكانت مظاهرة الاربعاء ٤/٣ التي شاركت فيها قوى الحركة الاسلامية مثالا واضحا لكل من يراقب ويهتم بما يجري في السودان على أن نظام النميري لم يعد يملك امكانية للاستمرار.

في ذلك الوقت كان الرئيس السوداني يجتمع بالرئيس الاميركي ويتلقى دعمه السياسي ووعوده بزيادة المعونات الاقتصادية، وسراً يرسل مستشاره الخاص بهاء الدين ادريس ليتصل بالقوى المؤيدة له بالجيش وخاصة سلاح الدبابات ليطمئن على استمرار ولائهم ولكن ادريس يدرك ان الامور لم تكن تسير لصالح سيده فيسارع بالمغادرة الى لندن منقذا جلده من الخطر المحدق.

يوم الخميس ٤/٤ كانت الامور قد وصلت لنهاياتها والجميع ينتظرون الحدث، الاميركيون يريدون عمر الطيب نائب الرئيس وصاحب الولاء المطلق لهم والمعادي للحركة الاسلامية والذي كان يؤمل بانه سيكمل مهمة القضاء على قيادات الخط الاسلامي التي قام النميري باعتقالها. وليس غريبا أن نتصور أن الحكومة المصرية ايضا كانت تحبذ عمر الطيب، فقلقها من تصاعد القوة الاسلامية في السودان لم يكن أقل من القلق الاميركي.

الاسلاميون كانوا يجرون حساباتهم ويحاولون اتخاذ الخطوة الصائبة فيما بقية قوى المعارضة السودانية بما فيها المهديين كانت تلهث وراء الاحداث لا تدري ما حدث وما سيحدث، وماذا بامكانها ان تفعل.

ولكن المفاجأة في الانقلاب «المتوقع» كانت شخصية اللواء عبد الرحمن سوار الذهب، الذي يعتبر حديث العهد في مسؤولية قيادة الجيش و يوصف بانه ضابط متدين من آخر جيل الضباط الكبار في الجيش السوداني، بدون طموحات ولا خلفية سياسية قوية، أميل الى الطائفة الختمية التي كانت دائما تحسب على سياسة الارتباط القوي بين مصر والسودان، وربما كان هذا هو السبب الذي دفع ببعض المراقبين الى الظن بأن اللواء سوار الذهب سيختار خط القاهرة، غير أن هنالك العديد من المصادر السودانية التي تؤكد على استقلالية الضباط الجدد والى انه لن يكون لعبة سهله في يد حكومة مبارك أو الاميركيين.

ولعل ما ينبغي الاشارة اليه ان الانقلابيين قد سارعوا الى اعتقال اللواء عمر الطيب والرشيد الطاهر المحسوبين على الخط الاميركي...

... حتى هذه اللحظة يمكننا ان نفهم ما يلي:

١ ــ ان النميري قد انتهى الى غير رجعة وان اسطورة الرئيس القادر دائما على العودة قد انتهت ولعل من المثير ان نشير الى أن قائد طائرة النميري الذي رفض الاقلاع به من مطار القاهرة الى الخرطوم ينتمي للاتجاه الاسلامي، بل ان بقاء النميري في مصر قد يصبح مصدر احراج لحسني مبارك الذي يتوق لبناء علاقة جيدة مع النظام الجديد.

٢ ــ ان الانقلاب وقادته لم يمثلا الخيار الاميركي تماما وان كان هناك احتمال قوي بان الاميركيين قد عرفوا به مبكرا، ولذا فالأرجح أن يحاول الاميركيون دفع عناصرهم المخلصين داخل الجيش الى محاولة انقلاب جديد يضبط الامور بدقة أكبر على مقياسهم ان لم تحسن القوى المعادية لهم ــ وبشكل خاص الاسلامية ــ حساباتها.

٣ ــ ان الاسلاميين حتى الآن لم يخسروا الكثير وان كانوا ايضا لم يكسبوا شيئاً، فقياداتهم المعتقلة لم تصف جسديا كما كانت تريد ادارة ريغان، وقياداتهم البديلة لا زالت حرة في العمل وهم القوة الوحيدة المنظمة في البلاد ــ الى جانب الجيش ــ التي تستطيع المبادرة بالعمل الدقيق المحسوب.

رغم أن الضربة التي وجهها النميري لهم في الشهرين الماضيين كانت نقطة عليهم بالنظر الى امكانياتهم في المبادرة المبكرة، الا ان الخطر الآن يأتي من أن يقعوا في مسلسل «الحذر ومزيد من الحذر» ويفوتوا على الاسلام فرصته في تحقيق انتصار جديد له في المنطقة، اذ ان فوضى القوى وعدم قدرة أي من المراكز العسكرية أو المدنية على تثبيت أقدامها حتى الآن، يعتبر بلا شك فرصة هائلة لأن يفرض الاسلاميون سلطة الامة.

وربما لا يصل هذا العدد لأيدي القراء الا وتطورات جديدة قد تلاحقت في عاصمة الاسلام الافريقي فلعبة الكراسي الموسيقية المسلحة ما زالت دائرة في الخرطوم، ومن يغفل عن موقعه لحظة سقط الى الهاوية.

\-

لبنان الاسلام والشهادة

عنهم تصعب الكتابة، لان الكتابة امكانية محتملة أما هم فيقين متحقق ولأنها بذرة محتملة النماء اما هم فثمار آتت أكلها وأشجار تابى ان تموت الا واقفه، إنهم اليقين الراسخ في زمن الاسماء الحيادية وهم المقاومة الاصلية في زمن تحسب فيه المهادنة والاستسلام رقياً وتحضراً.

أنهم الرد السريع في زمن يبات الثار فيه عقوداً حتى تصبح جمرته ثلجا.

وفداه ابي وامي هذا الذي قال قبل أن ينفذ قراره بالاستشهاد: (انني أحاول أن ارد الدين لأمتي) فكم تساوي الأمة اذا لم يكن فيها أمثالك ايها المنسي اسماً والحاضر دلالة على أن هذه الأمة مازالت تملك اسباباً للبقاء.

فلأبناء الاسلام في لبنان المجد... ولأعدائهم العار والموت لهم المجد هؤلاء الذين يضيئون بالروح ليل هذه الأمة الطويل... هؤلاء الذين يشعلون قنديل الشهادة بدماء قلوبهم و يثبتون ان الأمة مازال فيها رجالها و يؤكدون أن ارض الاسلام لن تعقم فهي منبت الشهداء ومقبرة الاعداء.

لهم المجد...

هؤلاء المتربعون على قمة اليقين يسقطون بارادتهم و باستشهادهم كل دعاوى الوسطيين والرماديين والمعتدلين، يقولون باعمالهم ساقط ومتهاو كل من يراهن على أمكانية الحوار مع اعداء الامة وكل من يظن ان طريقاً غير طريق الجهاد يمكن ان يرد حقاً سلبيا أو كرامة مستباحة.

لهم المجد...

ابناء الاسلام وثمرات الايمان في لبنان يحيون سنة المصطفى و يمضون فريضة الجهاد و ينالون احدى الحسنيين فمنهم من ينال الشهاده ومنهم من ينال النصر وهم بذلك راضين مرضيين، يدحرون عدوهم وهم كرار لافرار و يحيون الامل في أمتهم و يضعونها على الطريق الصحيح وعلى المحجة البيضاء التي لايزيغ عنها الا هالك.

لهم المجد...

وهم يوحدون بنادق الامة ضد عدو الأمة، وهم يسقطون دعاوى الفرقة والطائفية و يحمون شرف الاسلام من أن تدنسه الصبيه من المتخذلقين بالاسلام.

ـ الطليعة الاسلامية ـ

الانسحاب الاسرائيلي انتصار من ولمن؟



صيدا ـ خاص بالطليعة الاسلامية

السادس عشر من شباط ١٩٨٥ كان يوم انسحاب القوات الاسرائيلية من مدينة صيدا وقضائها وكان انسحاباً دون قيد او شرط، فكان يوم التحرك الذي انطلقت فيه الزغاريد من حناجر النساء اللواتي استقبلن تلك اللحظة من الشرفات وهن يشاهدون قوات العدو الصهيوني تخلي مواقعها. وارتفعت من مكبرات الصوت التي تطلق الآذان نداء «الله اكبر والعزة للاسلام» وتصدرت عناوين الصحف الوطنية اللبنانية عبارة «حي على النصر» وارتسمت ابتسامة حزينة لها الف معنى ومعنى على وجوه امهات الشهداء الذين سقطوا في مقاومة قوات الاحتلال.

اجتمعت القيادات الاسلامية على اعتبار هذا الانسحاب الذي يقدم عليه العدو الاسرائيلي لاول مرة تحت وطأة الجهاد الاسلامي المسلح حدثاً تاريخياً كبيراً له مغزى عظيم. وشاركتها هذا الرأي كل القيادات السياسية اللبنانية الوطنية التي تكاد لا تصدق عيونها وهي ترى المقاومة المسلحة تنتصر على قوات الجيش الاسرائيلي.

رئيس الجمهورية أمين الجميل زعيم حزب الكتائب الذي استقبل الغزو الاسرائيلي عام ١٩٨٢ بالتهليل والدعم أسرع الى صيدا ليتقدم المحتفلين بالنصر والتحرير و يطلق عبارات التجسيد للمقاومة التي شنت ضد المحتلين.

وعبر عن مغزى الانسحاب الاسرائيلي من صيدا موشي ماعور رئيس قسم دراسات الشرق الاوسط في الجامعة العبرية في القدس قائلا: ان حرب لبنان تقيم الدليل، للمرة الاولى، على انه يمكن اجبار اسرائيل على التقهقر من ارض عربية عن طريق حرب الثوار. وان لهذا اثاراً بعيدة على الضفة الغربية وقطاع غزة والصراع العربي الاسرائيلي عموماً (جريدة النهار ١٩٨٥/٢/٢٠).

وذهبت اغلب تعليقات الصحف والمجلات العربية والاسلامية الى ابراز الدور الذي لعبته المقاومة المسلحة في الجنوب على تراجع الجيش الاسرائيلي، ورأت في ذلك مغزى قد يكون له ابعاد هامة في المستقبل. وشاركت في هذا الرأي عدة صحف ومجلات دولية، خصوصاً، التابعة للكتلة الشرقية ودول عدم الانحياز وان حاول المعلقون المتعاطفون مع اسرائيل اعتبار هذا الانسحاب دليل حسن نيات اسرائيل تجاه السلام. وكان الرئيس الامريكي ممن سارعوا الى تأكيد هذا المعنى. وانطلقت حملة اعلامية اسرائيلية ــ امريكية ــ غربية مضادة تتحدث عن «الارهاب الشيعي» «والتعصب الاسلامي» في محاولة تهدف الى سلب المقاومة حقها العادل في الكفاح المسلح ضد احتلال أجنبي اعتدى على أراض الغير وارتكب جرائم لا تحصى بسبب هذا العدوان، وقد هدفت الى اعطاء المقاومة الاسلامية التي انطلقت في جنوبي لبنان ضد الاحتلال الاسرائيلي صفة «الارهاب» «والتعصب» و«المذهبية» ولكن ذلك كله لم يكن له أي صدى في صفوف المسلمين في لبنان وخارجه، فارتفعت رايات التحرير وصور شهداء الجهاد فوق ربوع صيدا ولبنان، وارتسمت فرحة النصر على الوجوه والاهم من ذلك تحدد، بدقة متناهية معنى ما حدث، وراح الكثيرون يتوقعون امتداد تأثيره الى الضفة الغربية وقطاع غزة والصراع العربي ــ الاسرائيلي عموماً ماتقين بذلك مع توقع رئيس قسم الدراسات الشرق الاوسط في الجامعة العبرية في القدس.

الانتصار من حق من؟ ولمن؟:

مع مضي اليوم الاول على الانسحاب الاسرائيلي من صيدا و وصول الجيش اللبناني اليها. بدأ يتضح حجم الحدث وضخامته، وجاءت زيارة أمين الجميل رئيس الجمهورية غير المتوقعة للمدينة المكللة بالغار لتخطف الاضواء. فبدا للقوى الاسلامية كما لقيادات الحركة الوطنية اللبنانية أنه يريد سلب الانتصار وتجييره لشخصه وللدولة التي يتحكم الموازنة بها. وسبق ذلك تحرك صيداوي سريع لتشكيل قيادة سياسية للمدينة

مشكلة بمعظمها من فعاليات ووجوه لم تشارك فعلياً في مقاومة العدو الصهيوني وان حافظ بعضها على وجهه الوطني، وأسهمت القلة منها بالمقاومة سياسية للاحتلال. وكان ذلك اشارة أخرى توجت سياسة اعلامية مركزة طوال الثلاث سنوات الماضية سمتها طمس الهوية الاسلامية للمقاومة تحت اسم المقاومة الوطنية. ثم با للقوى الاسلامية التي قام الجزء الاكبر من تلك المقاومة على أكتافها أن نتائج النصر يراد أن تجير لغير القوى صاحبة الحق الاول فيه. وبهذا تسلب نتائج النصر منها كما سلبت من قبل راية جهادها حين سميت بأسماء أخرى. ومن هنا جاء بيان حركة التوحيد الاسلامي التي يقودها الشيخ سعيد شعبان ليدعو من طرابلس: «جميع القوى المجاهدة في لبنان الى رص صفوفها في مواجهة اليهود وعملائهم، خصوصاً، أن مقتنصي الفرص وانتهازيي الساحة بدأوا يسارعون الى سرقة انتصار المجاهدين في الجنوب محاولين الصعود على حساب دماء الشهداء الابرار وتجيير هذا الانتصار في غير مصلحة الاسلام والجهاد والتحرير.

وكان قد ذهب الى هذا المعنى نفسه الشيخ ماهر حمود، وهو مجاهد نشط من أبناء صيدا وعضو تجمع العلماء والمسلمين، قائلا: «ان صيدا ترفض أن يطأها أشخاص كانوا يزحفون تحت أقدام الاحتلال لا مجال بيننا اطلاقاً لعميل، والحكم اليوم لله ورسوله.

أما الشيخ صلاح الدين أرقة دان المسؤول السياسي لجنوبي لبنان في «الجماعة الاسلامية» «فقد أكد على أن صيدا تحررت بفضل المقاومة الاسلامية المظفرة وسوف تتابع الجهاد ضد الاحتلال» وتوجه بيان حركة «حزب الله» الى الهجوم المباشر على زيارة رئيس الجمهورية لصيدا مشيراً الى الزعامات التي أفاقت من غفلتها بعد الفرار الصهيوني لتبني أمجاداً على حساب دماء الشهداء أبطال صيدا أمثال جمال حبّال، بشير الاتب، أحمد الديماسي، زنزيه القبرصلي، وصرح السيد حسين الموسوي مسؤول حركة «أمل الاسلامية»، وهي انشقاق عن حركة أمل، قائلاً: «أستنكر زيارة الجميل لصيدا زعيم الحزب الذي سلم لبنان للاسرائيليين في ١٦ أيار».

يتضح من مواقف الحركات الاسلامية المجاهدة أنها اضطرت الى دخول معركة فوراً بعد تحرير صيدا ذات ثلاثة أبعاد الاولى الرد السريع والحازم ضد زيارة رئيس الجمهورية التي اعتبرت محاولة لتجيير الانتصار في مصلحة الكتائب والحكم الماروني للبنان، والثانية ضد الزعامات والقوى السياسية العلمانية التي حاولت سلب الانتصار من أهل الفضل فيه، أي المقاومة الاسلامية، للتربع على سدة القيادة في صيدا وتخطف الاضواء الاعلامية كأنها هي صاحبة الفضل في التحرير، والثالثة التأكيد على أن تحرير صيدا جاء ثمرة لجهاد القوى الاسلامية وما قدمته من شهداء.

لم تقتصر هذه المعركة السياسية الدائرة حول «الانتصار من حق من؟ ولمن؟ على الاتجاهات الاسلامية الرئيسية الثلاث «الجماعة الاسلامية» «وحزب الله» «وتجمع العلماء المسلمين» وانما شاركت فيه حركة «أمل» التي يترأسها نبيه بري حيث قالت في بيان لها عن المقاومة الوطنية في

الجنوب أنها «تنطلق من خط الاسلام» وشارك أيضاً في هذا التشديد على دور الاسلام في المقاومة أغلب العلماء المسلمين في لبنان ولعل تصريح الشيخ محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان يشكل تعبيراً بليغاً لتلك المواقف حيث حيا شبان صيدا الذين تربوا في مدرسة محمد، ورفعوا شعارات الايمان وأثبتوا أن في قدرتهم وجه التاريخ بفضل ايمانهم هذا، ثم قال أن صيدا تواجه العالم اليوم، وعلى رأسها عمامة الشيخ محرم العارفي، وهو من أبناء صيدا اعتقلته سلطات الاحتلال بسبب جهاده، وما زال معتقلاً في معسكر أنصار، وكان قد تعرض الى تعذيب من قبل قوات الاحتلال بسبب نشاطيته وجهاده في المقاومة.

قيادات الحركة الوطنية اللبنانية التي يتزعمها وليد جنبلاط هاجمت زيارة أمين الجميل رئيس الجمهورية اللبنانية لصيدا وقد وصفها مسؤول في الحزب التقدمي الاشتراكي «بمحاولة سرقة الانتصار» وقال أنه كان أولى له ـ يقصد رئيس الجمهورية ـ لو أمر الجيش بمقاومة الاحتلال.

التظاهرة الاسلامية:

في الثامن عشر من شباط وفي اليوم التالي من زيارة الجميل لصيدا، وبعد ٤٨ ساعة من دخول الجيش اللبناني اليها، تحرك وفد كبير من العلماء المسلمين في بيروت تصحبهم مئات السيارات التي تحمل الشباب المسلم المسلح الى صيدا مخترقين حواجز الجيش اللبناني، ويتقدمهم الشيخ محمد سويد والشيخ قاسم الرفاعي والشيخ زكريا غندور والشيخ محمد المقداد والشيخ عصام شمص والشيخ زهير كنج والشيخ عفيف النابلسي جنباً الى جنب مع عشرات العلماء من الشيعة من قيادات «حزب الله» وخرج الى استقبالهم في مشارف صيدا الشيخ صلاح الدين ارقة دان والشيخ ماهر حمود وتجمع علماء جبل عامل «وعدد من العلماء السنة والشيعة المسلمين والتقوا جميعاً في باحة مسجد الزعتري، ثم بدأ الجمع يتكاثر حتى أصبح تظاهرة حاشدة نيفت على العشرة آلاف (الرقم كبير جداً بالمقياس اللبناني، خصوصاً، في صيدا المدينة الصغيرة). التظاهرة هدف، كما أوضح لنا أحد قادتها، الى استنكار زيارة رئيس الجمهورية لصيدا وهو الذي يتزعم حزبا تحالف مع الجيش الاسرائيلي في احتلال الجنوب وغزو بيروت، أما الهدف الثاني فهو التأكيد على أن تحرير صيدا تم بفضل القوى الاسلامية المجاهدة ولن يسمح للزعامات التقليدية أو غير اسلامية أن تسلب الانتصار معنوياً وعملياً، ثم الهدف الثالث وهو اعلان التصميم الاسلامي على مواصلة الجهاد حتى تحرير القدس.

وفعلاً ان نظرة الى الشعارات التي رفعت في تلك التظاهرة التي أثارت ضجة واسعة من قبل قوى كثيرة، تظهر جانباً من تلك الاهداف.

رفعت صور كبيرة في تلك التظاهرة كان أبرزها صورة الشهيد المجاهد الشيخ راغب حرب والمعتقل المجاهد الشيخ محرم العارفي الى جانب صور الامام الخميني والامام موسى الصدر ويافطات كتبت بأحرف كبيرة «لا اله إلا الله»، «الله أكبر»، ودوت هتافات بشعارات مثل «الله أكبر» «الموت لامريكا الشيطان الاكبر»، «لاشرقية ولا غربية ثورة اسلامية.. حرباً حرباً

حتى النصر، زحفاً زحفاً حتى القدس، لا سني ولا شيعي وحدة اسلامية، جمهورية اسلامية.. لا لحكم المارونية.. صيدا صيدا اسلامية، يا أمين (اسم رئيس الجمهورية) ارفع ايدك جيش محمد لا يريدك..

وتوقفت التظاهرة بعد أن طافت في شوارع صيدا لتتحول الى مهرجان خطابي كبير كان من أبرز خطبائه الشيخ ماهر حمود والشيخ صلاح الدين أرقة دان.

الهجوم السياسي على التظاهرة:

اعتبرت الصحافة الاسرائيلية تلك التظاهرة بمثابة الاستفزاز الصارخ للجيش الاسرائيلي وطالبت بعضها بعودة الاحتلال. أما ايلي كرامة ـ رئيس حزب الكتائب الماروني ـ فقد استنكر تلك التظاهرة وحذر من نتائجها قائلا أنها «قد تؤدي الى عواقب سيئة ذلك أن وراء كل عمل ردة فعل والامور تتلاحق وطالب من قيادات الحركة الوطنية والزعامات الاسلامية التقليدية «تحديد موقف صريح من التظاهرة» وركزت صحيفة العمل الكتائبية على بعض الاعمال التي حدثت بعد انفضاض التظاهرة مثل اقتحام بعض المتاجر وتحطيم محتوياتها بسبب تعاطيها ببيع الخمور، وأبرزت حرق العلم اللبناني أما لجنة الفعاليات الصيداوية التي يترأسها النائب عفيف البزي وهي اللجنة التي اعتبرتها السلطة اللبنانية والحركة الوطنية اللبنانية ممثلة لمدينة صيدا وصاحبة القرار فيها فقد أصدرت بياناً رحبت فيه بالوفود الزائرة للتهنئة واستنكرت في الوقت نفسه خرق قرارها من خلال ظهور السلاح والتظاهر في المدينة والاعتداء على بعض المتاجر.

عقد اجتماع في اليوم التالي ضم قادة «حزب الله» «والجماعة الاسلامية» «وتجمع العلماء المسلمين» لمناقشة ردود الفعل الناجمة عن التظاهرة، وقرروا أصدار بيانات توضح أهداف التظاهرة ولا تقر الاعمال غير المسؤولة التي ارتكبت بعد التظاهرة كتخريب بعض المتاجر. واعتبروا التظاهرة وما صحبها من تأييد جماهيري واسع تعبيراً عن وحدة المسلمين وفي مقدمتهم علماء السنة والشيعة وأن محتواها سياسي اسلامي مجاهد موجه ضد الكتائب والاحتلال الاسرائيلي. فجاء في بيان «حزب الله» أن التظاهرة أرعبت كل قوى الكفر وعملائهم ودفعتهم الى ممارسة الهذيان، وأكد على أن «بندقية المقاومة الاسلامية التي طردت الاحتلال من صيدا ينبغي أن تكون حاضرة دائماً لتستكمل تحرير الوطن» أما بالنسبة للجيش اللبناني فقال البيان «بالرغم من عدم تعرضنا للجيش، في هذه المرحلة، ولكننا لا نستطيع احترام جيش لم يشارك في التحرير» بينما أعلن بيان تجمع العلماء المسلمين «أن الجيش الذي نقبل به هو الذي يسهل مرور المقاومة لضرب الاحتلال»، وأكد الشيخ صلاح الدين ارقة دان أن الشعار الذي نرفعه هو «أن تتوجه كل البنادق نحو العدو من أجل تحرير كل شبر محتل من أرضنا الطاهرة».

اذا كانت بيانات وتصريحات قادة التظاهرة قد شجبت بصراحة الاعمال التي مست بعض المتاجر فانها لم تقر، بشكل، أو بأخر، احراق العلم اللبناني، واعتبرته عملا جاء نتيجة ردة فعل لزيارة

الجميل ومحاولة سلب النصر الاسلامي.

المسلمون والاقلية المسيحية

من المسائل التي أثيرت أثر التظاهرة الاسلامية الجماهيرية الى جانب الظهور المسلح في صيدا والموقف من الجيش اللبناني ومواصلة المقاومة مسألة الاقلية المسيحية في المدينة والقضاء. وكان حزب الكتائب من خلال اعلامه قد أثار ضجة واسعة حول الخطر الذي يتهدد المسيحيين من المسلمين واتخذ من ذلك حجة للتشديد على ابعاد السلاح من الجنوب، علماً أن «القوات اللبنانية» التابعة له من أكبر الميليشيات في لبنان تسلحاً وعدداً وهي تسيطر على المناطق المارونية سيطرة كاملة وتمنع الجيش من ممارسة مسؤولياته فيها، وهذا ما جعل صائب سلام رئيس الوزراء الاسبق يشدد على أن الشرعية لا تستطيع أن تسيطر ما لم تسمح القوات اللبنانية من الكتائبية للجيش بالسيطرة على المناطق التي تحت نفوذها. وهو ما رفضته حتى الان قيادة الكتائب بينا تصر على أن يمارس الجيش كامل صلاحياته في المناطق الاسلامية.

الشيخ محمد علي الجوزو رد على اتهام المسلمين بتهديد حياة المسيحيين قائلاً: «أثبتت صيدا أن المسلم لا يحقد، ولا يكره، ولا يكون رجعياً، ولا متخلفاً، ولا همجياً ـ في وقت من الاوقات ـ المسلم الحقيقي وليس المسلم المزيف،» واعتبر وصاية الكتائب على المسيحيين هي الخطر عليهم: «ولو أن بعض الذين يدعون الوصاية على المسيحيين تركوا المسيحيين وشأنهم في لبنان لما اعتدى عليهم مسلم قط، ولكن التحدي والاستفزاز والتعصب والتعاون مع الاستعمار نكاية بالمسلمين هي التي تضطر المسلم لان يواجه في بعض الاحيان التحدي بمثله».

أما الشيخ ماهر حمود فقد أعلن في التظاهرة ومن حوله البنادق الاسلامية مشرعة: «نتوجه الى المواطنين النصارى قائلين لهم اياكم أن تؤخذوا باشاعات الكتائب والقوات اللبنانية، اننا لا نضمر حقداً لمسالم ولا نسمح بأذى لاي مواطن مهما كان انتماؤه.. ان بندقية الكتائب لن تشكل ضماناً للمسيحيين ان الاسلام العظيم الذي علمنا كيف نكون عظماء في الحرب علمنا كيف نكون عظماء في السلم، ان الاسلام العظيم هو الذي يحمي المسيحيين»..

وكان صوت الشيخ سعيد شعبان قد أعلن أكثر من مرة أن لا خوف ولا خطر على المسيحيين من المسلمين وأن الاسلام و بنادق المجاهدين هما الحماية لهم شريطة أن يبتعدوا عن التحريض الكتائبي ضد الاسلام والمسلمين ولا يقبلوا بالوقوف الى جانب اعداء الامة.

مقاومة اسلامية حتى القدس

بعض قيادات الجهاد الاسلامي الذي انفجر في وجه الاحتلال وجعله يواجه مقاومة شعبية شاملة وقتال فدائي يطلب الجنة أكثر مما يطلب الحياة، أو جعلته يواجه، وفق مصطلحات بعض الصحفيين الغربيين «ثورة مساجد» ومقاتلين «انتحاريين» يؤكدون أن المقاومة الاسلامية لن تتوقف عند حدود تحرير صيدا وجنوبي لبنان وانما يريدونها مقاومة حتى تحرير القدس. وقد عبر عن هذا المعنى الشيخ محمد جعفر المهاجر آل ابراهيم في

محاضرة حول الشهيد الشيخ راغب حرب قائلا «أن المقاتل في جبل عامل (منطقة في جنوبي لبنان سكانها من المسلمين الشيعة) لا ينتمي الى جبل عامل أكثر منه الى القدس أو سيناء أو الجولان أو الضفة الغربية فكلها بالنسبة اليه الوطن الكبير وان لجوءه الى القتال من دون سواه هو لغة اسلامية» واعتبر اندلاع المقاومة الاسلامية «بداية البداية ليقظة الشعوب الاسلامية على أسلوب المواجهة الوحيد الذي يجب أن ينجح ضد الهجمة الاستعمارية العالمية»، وجاء في تصريح السيد حسين الموسوي مسؤول «أمل الاسلامية» قوله: «اننا على طريق المقاومة سائرون ولن نهدأ قبل تحرير القدس وكل التراب المقدس وزوال اسرائيل من الوجود».

وورد في رد الشيخ ماهر حمود على من أسماهم «الزعماء المستوزرين» بأن العلماء لا يسعون الى زعامة أو وزارة وانما همهم هو (تحقيق الاهداف الاسلامية العظيمة وعلى رأسها مواصلة الحرب ضد اسرائيل حتى الدخول الى الاقصى).

وبهذا تبدو ملامح انقلاب السحر على الساحر. فبدلا من أن يحقق اجتياح لبنان من قبل الجيش الاسرائيلي انتهاء المقاومة الفلسطينية واذا به بعد ثلاث سنوات يتخضب بدمائه في مواجهة مقاومة اسلامية كانت قبل الغزو راكدة في الاعماق وقد أصبحت أمنيته الان تتوقف عند حدود لبنان. ولا يمكن للمرء الا أن يرى مغزى ذا دلالة بعيدة عندما تنقل الصحافة الاسرائيلية مطالبة سكان المستعمرات اليهودية في الجليل بعد الانسحاب الاسرائيلي من صيدا، بضرورة تنظيف الملاجيء واعدادها من جديد. و يدخل في هذا الاطار تصريح معلق عسكري اسرائيلي لجريدة معاريف شبه هزيمة اسرائيل في لبنان بهزيمة أمريكا في فيتنام وأبدى خشيته أن تترك هذه الهزيمة أثارها النفسية على الرأي العام الاسرائيلي كما فعلت الهزيمة الامريكية ولهذا رأي أن أهم ما يجب تداركه الان هو: «ألا يصاب الجمهور الاسرائيلي بروح انهزامية من شأنها اضعاف ارادته التي يحتاج اليها أيام الاختبار القادمة».

أما من جهة أخرى عبر عن مثل هذه التوقعات أحد الساسة اللبنانيين من أعضاء «اللقاء الاسلامي» الذي يضم رؤساء الوزارات السابقين قائلاً: «أخشى أن تصبح أمنية الجميع أن تتوقف المقاومة عند الحدود اللبنانية».

عثمان نصر الله

حرب الخليج :
الوساطة والتصعيد والحسم

مع مطلع شهر فبراير (شباط) الماضي، تداولت مصادر الانباء روايات قوية حول وساطة عربية ــ دولية جديدة من أجل انهاء الحرب العراقية ــ الايرانية . وقد أخذ الحديث عن هذه الوساطة الجديدة يكتسب زخما خاصا في أروقة السياسة العربية، وفي الوقت نفسه ارتفعت درجة التفاؤل لدى السياسيين الخليجيين الذين علقوا آمالا عريضة على الوساطة الجديدة، وقد كان مصدر هذا التفاؤل هو حجم الاجماع العربي والدولي الذي احاط بهذا المشروع الجديد، إضافة الى انه يحتوي على عدد من المطالب الايرانية المعروفة لانهاء الحرب، كما ان الاعداد لهذه الوساطة الجديدة إضافة الى التوقيت قد صادفه بعض التوفيق .

وقد كانت بداية الخيط لمعرفة حدود المشروع الجديد وحقيقته هو ما ذكرته بعض المصادر العربية الوثيقة الصلة بسوريا أن مقترحات محددة للوساطة قد تم الاتفاق عليها بين السعودية وفرنسا والولايات المتحدة وقد حصلوا على الضوء الاخضر أيضا من السوفييت الذين وافقوا على المشروع، اضافة الى أطراف عربية أخرى كسوريا ودول الخليج . وكان قد تقرر أن تقوم سوريا بتبني هذا المشروع الجديد للوساطة، بحيث يقوم الرئيس السوري في زيارته المقررة لطهران بطرح مشروع الوساطة والضغط من اجل اقناع الايرانيين به مستخدما في ذلك كافة الاوراق وإمكانيات الضغط لانجاح هذا المشروع .

بنود الوساطة الجديدة

وقد ذكرت تلك المصادر العربية ان صورة تقريبية عن هذه الوساطة قد وصلت الى بعض الاطراف ويمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) تتوقف جميع الاعمال العسكرية على الجبهة العراقية ــ الايرانية فورا، و يدخل الطرفان في محادثات (مفاوضات) للعودة الى حالة السلام على أساس اتفاقية الجزائر لسنة ١٩٧٥ .

(٢) تتعهد السعودية بدفع مبلغ ثمانية مليارات دولار على الفور للخزينة الايرانية .

(٣) تتعهد فرنسا بالعمل على توفير ما مقداره ثمانية مليارات دولار أخرى للخزينة الايرانية في صورة تسهيلات ائتمانية، وعقود لشراء النفط الايراني، وافراج عن ودائع ايرانية قديمة محتجزة لدى بنوك غربية وأميركية .

(٤) تتعهد الدول العظمى (أميركا، السوفييت، فرنسا) باسقاط صدام حسين وجميع مسببي الحرب من الحكم في العراق . وقد وافق على ذلك أيضا الأطراف الخليجية .

كان هذا تقريبا مجمل ما رشح عن دوائر السياسة العربية حول مضامين الوساطة

الجديدة، ولكن يبدو أن الجزء الاهم من المسألة وهو مستقبل العراق هذا الوطن المسلم بعد انتهاء الحرب، أو بعد سقوط صدام كما يدعون، يبدو أن ذلك قد استبعد تماما من المشروع واحاطة ظلام كثيف، الامر الذي يخفي في طياته معالم مؤامرة هائلة على مستقبل الشعب العراقي المسلم وأيضا على مستقبل حركة التحرر الوطني في المنطقة كلها والتي يراد لها ان تقع جميعا تحت دائرة نفوذ وهيمنة الدول الكبرى ومصالحها الدنيئة في الوطن الاسلامي، إضافة الى دخول المنطقة ايضا (وخصوصا العراق) في ليل آخر طويل من حكم العملاء والمغامرين الجدد وأذناب الاستعمار الجديد . و يضاف الى هذا الوضع كله، إحكام القبضة والحبل حول عنق الثورة الفلسطينية وايقاعها أكثر وأكثر في حبائل المحاور الاميركية الجديدة، ومستنقعات الكونفدرالية، وتشكيل الوفود المشتركة، بعد اسقاط الخيار العسكري، وتدمير الروح المعنوية للقاعدة الاساسية للمقاتلين .

و يضاف الى كل ما سبق رغبة القوى الاستكبارية العالمية الى كبت البراكين المتفجرة في المنطقة العربية، وضبط الاضطرابات التي زلزلت الأرض من تحت أقدام الامبريالية العالمية وعملائها من لبنان وفلسطين الى العراق والسودان .

تأجيل زيارة الاسد

ولم تخف الرسالة على صانعي القرار الايراني الذين التقطوا الرسالة سريعا وكانت ردود أفعالهم واضحة من رفضها للصفقة الجديدة والتي تستهدف قبل كل شيء تقسيم الكعكة العراقية بين الذئاب المحلية والدولية والتي تريد لدماء آلاف الشهداء المسلمين أن تذهب سدى وان تضيع الغاية الجوهرية من هذا الكفاح الفذ .

و بالرغم من أن كل مصادر الاعلام والمعلومات التابعة للنظام السوري قد أنكرت أي نية للرئيس السوري في التوسط والوساطة، وحاولت احاطة كل هذه الخطط بجو محكم من التكتم والسرية لضمان أفضل فرص النجاح الا أن الزيارة المقررة للرئيس السوري قد تأجلت على الأقل مرتين على أثر التصريحات التي أدلى بها الرسميون الايرانيون حول الوساطة الجديدة والتي كان منها تصريح رئيس الوزراء الايراني الذي كان واضحا ان هذا النوع من الوساطات مرفوض من العدو والصديق ثم كان ايضا ما أدلى به رئيس مجلس الشورى الاسلامي هاشمي رفسنجاني الذي أوضح أنه لن يكون بوسع الرئيس السوري أن يتكلم عن الوساطة، ثم قال ان «سوريا تقف بجانبنا فكيف يمكنها أن تتوسط ؟» كما قال في موضع آخر من حديثه «إن على سوريا أن توضح موقفها» .

وكان واضحا أن هذه التصريحات كانت سببا مباشرا ومرة تلو المرة في تأجيل هذه الزيارة التي انتفت مبرراتها .

إعادة ترتيب الوساطة

وقد كان هذا الفشل المبدئي في ادخال المشروع الى حيز التنفيذ العملي مقدمة لخطة

جديدة اتخذت أبعاداً عربية ودولية لتجهيز الظروف والامكانيات واعداد المسرح الدولي والاقليمي لأحداث جديدة. في منتصف شهر فبراير الماضي جاءت زيارة الملك السعودي للعاصمة الاميركية، واحتلت الحرب العراقية ــ الايرانية حيزا كبيرا من المحادثات بين الجانبين السعودي والاميركي بسبب خطورة الامر وصلته بأمن النظام السعودي وكذلك بالمصالح العليا للامبريالية الاميركية في الشرق الاوسط، وعند ذلك فقد خرجت الادارة الاميركية عن حيادها الكاذب من الحرب ونزعت ورقة التوت الذي يغلف ذلك الحياد المزعوم حيث اتخذت تلك الادارة قرارات جديدة بزيادة دعمها لصدام حسين التكريتي ودشنها الرئيس الاميركي بتصريحه للصحافة في حديقة البيت الابيض وبحضور الملك السعودي حيث قال أن الولايات المتحدة الاميركية ومنذ الآن تعتبر ايران هي الطرف المعتدي في الحرب الدائرة بينها و بين العراق.

ثم أعقب زيارة الملك السعودي لواشنطن لقاء فيينا بين وزيري خارجية أميركا والاتحاد السوفييتي، والذي جرى فيه استعراض الكثير من قضايا العالم وحلولها المقترحة بينهما، وقد كانت قضية الشرق الاوسط (قضية فلسطين) تتعرض للتجميد والاهمال على مستوى الحل السياسي وهذا هو المدلول الوحيد لاتفاق الدولتين العظمتين على التشاور والتباحث حول هذه القضية ــ أي قضية الشرق الاوسط ــ التي لم تشهد إلا نوعين من الاوضاع اما السلم المصحوب بالانهيار العربي والهيمنة الصهيونية حيث ينفرد الاميركيون بتقرير شئون المنطقة واما حالة اللاحرب واللاسلم التي تسود المنطقة في حالة اقتسام النفوذ في المنطقة بين الامريكان والسوفييت كما كان الامر في الفترة ما بين ١٩٦٧ ــ ١٩٧٣. أما قضية الحرب العراقية ــ الايرانية فيبدو أنها قد شهدت في لقاء فيينا توافقا كبيرا بين الامريكان والسوفييت الذين بدا انهم أكدوا موافقتهم السابقة من المشروع المطروح سابقا، إضافة الى ترتيبات أخرى تم الاتفاق عليها من أجل متابعة المسألة ومحاولة ضبطها في الاطر المتفق عليها. وربما يكون هذا التوافق السوفييتي الاميركي من هذه المسألة تحديداً هو أحد أهم نتائج لقاء فيينا.

ثم كانت بعد ذلك زيارة الرئيس المصري الى العاصمة الاميركية. و بالرغم من أن موضوع الحرب العراقية ــ الايرانية لم يكن القضية رقم واحد بالنسبة للرئيس المصري خلال زيارته ومباحثاته في واشنطن، الا أن مشاورات هامة ومكثفة جرت معه أثناء وجوده في واشنطن حول قضية الحرب وجرى استطلاع رأيه حول حجم خطورتها وكذلك حول نوعية وكمية المساعدات أو الدعم الذي ينبغي تقديمه للنظام العراقي. وقد توافرت معلومات ايضا تقول أن الرئيس المصري قد أحيط علما بقرار أميركي كان موضع تثمين كبير في بغداد لاحقا لدى زيارة مبارك وحسين لها. وفحوى القرار الاميركي هو عدم السماح للحرب أن تلحق هزيمة بالعراق، ووجود تصميم غربي على تقديم كل المعلومات التي تساعد

العراق على التصدي للهجمات الايرانية المتوقعة. وقد أكدت هذه المعلومات ما نشرته صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية عن أن هناك تقرير عن التفاصيل والتحركات الايرانية تصل الى غرفة العمليات العراقية كل (١٢) ساعة، وتشكل هذه التقارير انذارا مبكرا لما يمكن أن تنوي عليه إيران.

وتؤكد الصحيفة أن مصدر هذه التقارير هو محطات الاقمار الصناعية الاميركية في منطقة الخليج التي دأبت على إمداد العراق بالمعلومات. و يضاف الى ما ذكرته صحيفة «صنداي تايمز» حول مصادر المعلومات العراقية، تلك التقارير التفصيلية التي تحصل عليها طائرات الاستطلاع الرادارية (أيواكس) وتملكها السعودية و يقوم الاميركيون بتشغيلها وصيانتها وتحليل نتائج طلعاتها الجوية. بل وتقدم أيضا مشاركتها في ارشاد الطيران العراقي لدى قيامه بالاغارة على المواقع الايرانية أو لدى اشتباكه في معارك جوية مع الطيران الايراني كما حدث مؤكداً في الاشتباك الجوي الايراني ــ السعودي في العام الماضي. ومن جهة أخرى فقد كشفت بعض المصادر العسكرية عن دخول شبكات جديدة من الرادار الاميركي في الخدمة الفعلية بالجيش العراقي والمواقع العراقية، إضافة الى أنظمة انذار مبكر أميركية أيضا.

أما على الجانب الفرنسي، فقد استقبل الرئيس الفرنسي في نهاية الاسبوع الثاني من شهر مارس (آذار) الماضي الوفد العربي الذي يضم أمين عام الجامعة العربية وسبعة وزراء خارجية عرب أم ما يعرف باللجنة السباعية. وقد عرض الوفد على الرئيس الفرنسي تنشيط مساعي الوساطة واعادة طرحها دوليا للحصول على تأييد أكبر عدد من الاطراف الدولية المعنية. وقد وعدهم ميتران رئيس فرنسا بدعم هذا التوجه في لقائه في اليوم التالي مع الزعيم السوفيتي الجديد غورباتشيف الذي التقاه في موسكو لدى مشاركته في تشييع جنازة الرئيس السوفيتي السابق تشيرنينكو، وقد أعاد الرئيس السوفيتي الجديد تأكيد موقف الاتحاد السوفيتي الداعم لمشروع الوساطة، كما وعد الرئيس الفرنسي بتأييد السوفيت لأي مشروع قرار في مجلس الأمن يدعو الى وقف القتال ووضع أسس للتفاوض والتسوية بين الطرفين المتحاربين. وفور عودته الى باريس، طلب الرئيس الفرنسي الاجتماع بطارق حنا عزيز الوزير العراقي الذي كان يزور فرنسا في ذلك الوقت والذي التقى الرئيس الفرنسي قبل ذلك بثلاثة أيام. وقد أبلغ الرئيس الفرنسي وزير الخارجية العراقي ما جرى مع غورباتشيف.

ومن ناحية أخرى، فقد أرسل مجلس التعاون الخليجي مندوبين عنه هما سعود الفيصل وصباح الاحمد وزيري خارجية السعودية والكويت الى الجزائر لمقابلة الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والرسميين الجزائريين، وقد نقلا الى الرئيس الجزائري تصورات مجلس التعاون الخليجي للدور الجزائري المترقب في مشروع الوساطة خصوصا أن علاقات مميزة تربط الجزائر بطهران ودمشق، وتأتي أهمية هذه

الزيارة من كونها تسبق قمة دول الصمود التي يجري التحضير لها، كما تسبق زيارة الشاذلي بن جديد المرتقبة لواشنطن والتي يتوقع أن تتخللها مشاورات أخرى حول نفس المسألة إضافة الى تعزيز العلاقات الاميركية ــ الجزائرية .

التصعيد العسكري

بعد كل هذه المشاورات السياسية والاتصالات العربية والدولية، والتصعيد الدبلوماسي والذي قصد منه جميعا إعداد المسرح للأحداث المقبلة، بعد كل هذا، جاء دور التصعيد العسكري الهائل والذي لم تشهد له جانبا الجبهة مثيلا . كان التصعيد ضروريا لانجاح عملية فرض الامر الواقع على إيران، أي فرض السلام الاميركي ــ السوفيتي ــ الفرنسي على هذا الشعب الذي أسقط أعتى دكتاتورية وتصدى ست سنوات لعدد لا يحصى من المكائد ومن المؤامرات الدولية التي أرادت إحباط هذه التجربة من الاستقلال الحقيقي ورفض الغرب ونموذجه الكريه. ولأنهم في الغرب يعتقدون أن أفضل وأنسب الظروف لطرق الحديد وتشكيله عندما ينصهر و يكون في حالة خضوع تام، لهذا فان عملية التصعيد العسكري الهائل التي مارسها النظام العراقي قبل وخلال و بعد معارك «الربيع» الاخيرة قد أخذت بعدين هامين يجدر أن نتوقف عندهما :

أولاً : البعد الدولي الذي أراد أن يلحق أكبر الخسائر الاقتصادية والانسانية (المدنية) بالجبهة الايرانية وأن يصل الى المفاعل النووي في بوشهر ومعامل البتروكيماو يات، إضافة الى محاولة إحباط الهجوم الايراني بغية اقناع صانعي القرار بعدم جدوى الاستمرار في الحرب، و بالتالي اقناعهم بقبول السلم مع ما تيسر من فضلات الغنائم التي سيتركها الغرب لهم .

ثانياً : البعد العراقي والذي أراد هو أيضا أن يستغل فرصة التصعيد العسكري الضخم والتي وفرها له الغرب وأذنابه في المنطقة من أجل تدمير عدد كبير من المدن والحاق عدد هائل من الخسائر في صفوف المدنيين دون غيرهم بغرض نشر الفزع والألم وروح الانهيار في صفوف هذا الشعب المعطاء الفدائي وكذلك بغرض إحداث أكبر قدر من التدمير في منشآت ووسائل الانتاج للجمهورية الاسلامية الامر الذي يقصد منه النظام الفاشستي في العراق الى إفشال خطة السلام الدولية والتي يحتمل في حال نجاحها أن يطير فيها رأس النظام العراقي وأركانه ثمنا لذلك، بحيث أن نتائج هذا التصعيد العسكري الرهيب ستؤدي الى رفض الجمهورية الاسلامية لكافة محاولات الوساطة رفضا قاطعا الأمر الذي يترتب عليه استمرار النظام العراقي على وضعه الراهن وفشل خطة السلام الدولية، أما الوجه الآخر للبعد العراقي من التصعيد العسكري فهو محاولة يائسة على النسق الشمشوني (علي وعلى أعدائي) لاحداث أي تقدم على الساحة العسكرية يكون من شأنه إطالة عمر النظام العراقي وتأخير انهياره الحتمي والتي حوت التطورات الاخيرة بوادره الواضحة .

وقد أكد هذا التحليل للبعد العراقي في

التصعيد العسكري تصريحات وزير خارجية النظام العراقي طارق عزيز والذي أكد بوضوح النوايا العدوانية والشريرة للنظام اذ قال «إن العراق غير عازم على إنهاء المعركة ما لم تصل الى هدف !!» كما قال ايضا أنه «لن يتوقف قصف المدن إلا في اطار حل شامل للصراع القائم تنصاع له إيران !!» .

ومن وراء كل هذا المشهد الدموي لا يخفي حلفاء العراق وأذناب الاستعمار في المنطقة العربية خوفهم وقلقهم على مستقبل هذا النظام الدموي في بغداد خصوصا في مرحلة التصعيد الاخيرة حيث تدافعت الزيارات والمشاورات والاتصالات مع هذا النظام وأركانه وكان أبرزها زيارة زعماء المحور الاميركي الجديد في المنطقة حسين ومبارك الى بغداد في الشهر الماضي، والتي صرح في أعقابها وزير الخارجية المصري عصمت عبد المجيد بأن نظامه يعتبر أن «معركة العراق هي معركة مصر» الأمر الذي ظهر جليا أن واشنطن تحاول جاهدة خلق وتكريس حالة اجماع وتأييد عربي وراء النظام العراقي ولتصبح قضيته هي قضية العرب الاولى ولتنعم اسرائيل بالهيمنة على المنطقة بغير منازع، إضافة الى تحسين ظروف خطة السلام الدولية من خلال ذلك الاجماع لفرضها وانجاحها .

نتائج عامة

أولاً : ان عمليات «الربيع» التي شنتها القوات الاسلامية على المواقع العراقية في النصف الثاني من شهر مارس (آذار) الماضي قد نجحت بداية في إنشاء رأس جسر على نهر دجلة حيث عبر آلاف الجنود المسلمين الى داخل البر العراقي عبر دجلة وتوغلوا لمسافة (٢٥) ميلاً تقريبا ولعدة أيام قبل أن يضطروا للانسحاب تحت وطأة القصف الجوي العنيف والمكثف الذي رافق عملية التصعيد العسكري، وقد وصلت عمليات القصف الى عدة مئات من الطلعات الجوية اليومية قام بها الطيران البعثي العراقي المجهز بأفضل المقاتلات والقاذفات السوفيتية والفرنسية. وقد ذكرت مجلة «نيوزو يك» الاميركية الاسبوعية أن مراسلها قد لاحظ أن ميدان العمليات يدل بوضوح على أن المقاتلين الايرانيين قد دخلوا الى داخل البر العراقي (ما بين النهرين)، وأكلوا، وصلوا، واستلموا رسائل من أصدقائهم أيضا، ومن الثابت أيضا أن معارك عنيفة جدا قد دارت ولمدة سبعة أيام استمرت و بالرغم من كل القصف الجوي العنيف، وأخيرا فانه من الثابت أن جنود الاسلام قد أدوا ما هو أكثر من واجبهم في هذه الجولة والتي ستعقبها جولات أخرى.

ثانياً : لقد ظهر جليا من خلال عملية التصعيد العسكري الشرس التي مارسها النظام الدموي العراقي أنه يحارب معركته الاخيرة، وأن عملية الاستنزاف الهائلة التي قادتها إيران لمدة خمسة أعوام ضد النظام العراقي وحلفائه المحليين (دول مجلس التعاون الخليجي) وحلفائه الغربيين قد آتت ثمارها. وتؤكد بعض مصادر المعلومات أن أمام النظام العراقي ثلاثة أشهر على الأكثر يمارس فيها التصعيد العسكري بانتظار تحقيق انجاز يؤدي الى السلام أو التسوية مع

ايران. وواضح أن الميزانية العراقية تنوء بتكاليف هذا التصعيد العسكري الباهظ في الوقت الذي يعجز فيه النظام عن تصدير النفط وتوفير مصادر حربه العدوانية ذاتيا، كما ان حلفاءه الخليجيين قد أوشكوا على الافلاس. كما أن معدل استعمال النظام لسلاحه سيؤدي بهذه المعدلات العالية الى استهلاكه بسرعة عالية فلو صحت رواية النظام العراقي عن قيام طيرانه بأربعة آلاف طلعة جوية كما زعم مرة، أو على الاقل ألفين ومائتي طلعة جوية كما زعم مرة أخرى، فان معنى هذا أنه لن يمر أسابيع حتى تصبح معظم طائرات سلاح الطيران العراقي غير صالحة للعمل بتاتا وذلك بسبب ما يترتب على ذلك من الاحتياج الى الصيانة المكثفة للطائرات بعد كل عدد من الطلعات، وهو الامر الذي تعجز عنه امكانيات العراق. إن أكثر ما يبدو متشابها لهذه الفترة الراهنة من حرب الخليج هو الأيام الاخيرة للحرب الفيتنامية في عام ١٩٧٣ حيث شهدت المدن والمواقع والمنشآت الفيتنامية قصفا أميركيا مدمرا نال كل ما أصابه وأوقع في الجانب الفيتنامي خسائر بشرية (مدنية) فادحة واقتصادية وعسكرية أيضا وهذا ما عرف يومها في مصطلح السياسة الاميركية باسم «سياسة الرجل المجنون» والتي جاءت كمحاولة يائسة لتغطية الهزيمة المحققة بالخزي والهزيمة والذي دلل بوضوح على هزيمة الغدر والبطش والنذالة.

ثالثاً: أما النتيجة الثالثة لهذه الحرب فهي أن الصمود الايراني والقدرة على المثابرة وتحقيق الاهداف قد فاق كل التوقعات. وواضح ايضا ان الايرانيين كسبوا منذ اليوم الاول الجانب الاخلاقي للحرب، وذلك بمعنى أنها حرب لم يبدؤوها ولم يسعوا اليها وهذا معناه أن الشعب الايراني المسلم **أعطى** لعملية الرد بعدها الشرعي والشعبي بالاضافة الى القناعة التامة بعدالة موقف قيادته مما كان له أبلغ الاثر في حجم التعبئة الهائل الذي تدفق باستمرار على الجبهات وبزخم استشهادي هائل. بل ان هذه الحرب ساعدت الى حد كبير في تفجير كوامن الابداع في الانسان الايراني المسلم والتي كان لها أكبر الاثر في اعادة بناء الجيش على أساس صحيح وكذلك كافة مرافق الدولة. ويلاحظ ايضا أنه كلما تورط النظام العراقي أكثر في دماء الابرياء المدنيين، كلما تأكد للقاصي والداني ان نهايته قريبة، وأن هذه الجرائم سوف ترفع من مقدرة ايران على التعبئة الى أضعاف مضاعفة، ومهما بلغت وحشية النظام العراقي في القصف الجوي أو المدفعي الصاروخي على المدن الايرانية فلن يصل الى جزء من الدمار الذي أحدثته طائرات هتلر يوميا في قصفها للندن أو قصف الدبابات وحصارها لمدينة ستالينغراد عدة سنوات في الحرب العالمية الثانية، حيث تبقى العبرة أن ارادة الشعوب تنتصر وان الموت والخزي مصير الجلادين والمستكبرين. كما أن عينات الصواريخ الايرانية التي سقطت في بغداد على وزارة خارجية النظام ومصرفه المركزي أعطت رسالة بليغة مفادها أن مزيدا من الصواريخ متوفرة لاصابة أهدافها وبدقة أيضا في مواقع النظام الاكثر أهمية مثل حقول النفط في كركوك وخط الانابيب الناقل للنفط العراقي عبر تركيا الى البحر الابيض المتوسط.

رابعاً: إن هذه الحرب بين الاسلام وبين الانظمة الجاهلية العربية ممثلة بالنظام العراقي أغباها وأشرسها وأوقحها لم تكن هذه الحرب لتستمر حتى عامها الخامس لولا موقعها ومدلولها الخاص لدى النظام الدولي الراهن. فهذه الانظمة الجاهلية العربية لم تصمد اسبوعا صمودا حقيقيا أمام العدو الصهيوني، بل كانت مقررات مجلس الامن الدولي بوقف اطلاق النار جاهزة دائما لكي تنقذهم كما أن العدو كان يحتل المزيد والمزيد من الارض العربية دائما. إذن فكيف حدث أن استمرت هذه الحرب حتى عامها الخامس؟ إن الاجابة على هذا السؤال تقتضي الحديث عن تاريخ النظام الدولي. فبين أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة المنورة في عام ٦٢٨م (تاريخ تكون الدولة الاسلامية الاولى) وحتى عام ١٩١٨م كان النظام الدولي قائما على أساس حقيقة جوهرية هي وجود الاسلام في هذا العالم كقوة عظمى تنتشر وتبشر وتهيمن وتقدم نموذجها الحضاري للبشرية والتي عم هذا الخير في جزء منها لعدة مئات من الاعوام كانت الدولة الاسلامية على اختلاف أسمائها ومسمياتها في معظم الوقت هي الدولة الاولى في العالم وصاحبة النفوذ الاكبر واليد الطولى في تقرير مصير ومجريات الشئون الدولية، بل كان أول نتائج دخول الدولة الاسلامية في النظام الدولي هو انهيار الامبراطورية الفارسية (الساسانية) القديمة واضمحلال الامبراطورية البيزنطية حتى انهارت بعد ثمانية قرون بسقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح. غير أن بداية الحملات الصليبية وصحوة أوروبا بعد ذلك ورفعها لشعار (المسألة الشرقية) أي صد الشرق المسلم وقهره واستعماره أدى الى تصاعد القوة الغربية الاوروبية وتراجع الدولة الاسلامية لأسباب تاريخية وحضارية عديدة مما أوصلنا عام ١٩١٨م الى حالة الهزيمة والتردي والانهيار. فمع نهاية الحرب العالمية الاولى وهزيمة العثمانيين، ثم الغاء الخلافة وتقسيم الولايات العثمانية كمناطق نفوذ لقوى الاستعمار العالمي الاوروبي، كان واضحا أن نظاما دوليا جديدا ينشأ ولأول مرة ـ منذ هجرة الرسول عليه السلام ـ وبدون أن تكون الدولة الاسلامية جزءاً أسياسياً فيه، أي بدون دار الاسلام التي تتبنى المنهج الاسلامي وتحمله الى العالم. أما أقطار المسلمين فقد اقتضى النظام الدولي الجديد أن تقسم بطريقة مفتعلة وأن تنشأ فيها أنماط جديدة من الدول المصطنعة والوحدات السياسية والادارية وهي الدول القومية الحديثة (الدول العربية)، ووضع على رأس هذه الدول جيل من القردة الذين تتلمذوا على يد الاستعمار وتعلموا منه كيف يناصبون هذا الاسلام العداء، وكيف يستأصلون شأفته جيلا بعد جيل. ولهذا فقد حققت هذه الدول القومية الحديثة أكبر هزائم ومخازي عرفها تاريخنا كله، من الهزائم العسكرية المنكرة في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ الى الصلح مع العدو وتسليمه أرض المسلمين والهيمنة على الوطن الاسلامي، الى السكوت التام والرضا عن الغزو الصهيوني للبنان، وتسليم السكين الى الجزار اليهودي ليذبح الشعبين اللبناني والفلسطيني. إذن فالمحافظة على استمرار

هذه الدول القومية الحديثة ومنع الاسلام من العودة لاحتلال دوره العالمي هو أحد خصائص ومتطلبات النظام الدولي الراهن الذي تناسى كل تناقضاته ليجمع السلاح الشيوعي (السوفيتي) والرأسمالي (الفرنسي) في الجبهة العراقية وبكثافة لم يشهدها تاريخ العرب الحديث، ولمدة خمس سنوات متواصلة في حالة إمداد هائلة للحرب العدوانية التي بدأها النظام البعثي العراقي ضد أول تجربة اسلامية ثورية معاصرة وقامت على أنقاض امبراطورية شاهنشاهية مفرطة في قوميتها وعنصريتها وطموحاتها العرقية. أليس هذا عجيبا جداً؟

إذن، الآن يصبح مفهوما لماذا طالت الحرب الى عامها الخامس؟ وكذلك يصبح مفهوما لماذا تنفق أنظمة الخليج ــ التي خلفها الاستعمار ايضا ــ أكثر من مائة بليون (مائة مليار) دولاراً لتمويل هذه الحرب ضد الاسلام في خمسة أعوام بينما لم تنفق عشر معشار ذلك على الجهاد ضد اليهود في خمسين عاما؟ بالطبع ان التفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو ان التناقض قائم بالتأكيد بين هذه الانظمة التي خلفها الاستعمار الكافر وبين النموذج الاسلامي المجاهد الثوري والمتقدم، لكن التناقض غير قائم حقيقة بين تلك الانظمة والمشروع الصهيوني إطلاقا.

أخيرا، فيما الغارات الوحشية العراقية تقصف القرى والمدن وتلحق التدمير والقتل بالأرواح البريئة والمزارع والمصانع وتنشر اللهب والخراب على أرض الاسلام الطيبة، فيما كل ذلك يحدث، يأتي صوت الامام الخميني واثقا قويا كما ينبغي، مستوعبا لعبرة التاريخ العظيمة ولحكمة الاسلام البالغة، حيث يجمع كل ذلك في قوله: «يجب أن تصمد الامة والحكومة والجيش وحراس الثورة ومختلف الفئات الاجتماعية في مواجهة الظلم والقوى العظمى... لم نكن نحن الذين أردنا الحرب، لكننا لن نقبل سلاما يكون أبشع من الحرب».

محمود زين الدين

زيارة الملك السعودي لواشنطن



فهد ـ ريغان: الدور السعودي

أعلن عصمت عبد المجيد وزير خارجية مصر في أثناء زيارته لباريس في النصف الثاني من شباط ١٩٨٥ أن المملكة العربية السعودية رحبت بالاتفاق الاردني ــ الفلسطيني. ونقلت بعض الاوساط الفلسطينية في تونس على لسان أحد أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح، أن السعودية تؤيد ذلك الاتفاق. وربطت صحف ومجلات عربية كثيرة بين توقيت الاتفاق وتوقيت لقاء الملك فهد والرئيس الامريكي ريغان معتبرة اياه بمثابة الهدية للعاهل السعودي من أجل تدعيم موقفه في حواره مع الرئيس الامريكي. أما من جهة أخرى فقد أبرزت عدة صحف ومجلات قريبة من السعودية أن الاولوية في محادثة الملك فهد أعطيت للقضية الفلسطينية، وحث الرئيس الامريكي على أخذ موقف عادل منها، والتحرك السريع لايجاد حل لمشكلة حقوق الشعب الفلسطيني والصراع العربي ــ الاسرائيلي.

ولكن حين يؤكد البيان الرسمي الامريكي ــ السعودي أثر تلك اللقاءات على أن العاهل السعودي شدد في المحادثات على مشروع مؤتمر قمة فاس للتسوية. فهذا يعني أنه عزف على وتر مختلف تماماً عن وتر مشروع الملك حسين والاتفاق الاردني ــ الفلسطيني. كما يعني أن الاولوية التي حملها في محادثاته مع ريغان لم تكن تحريك التسوية، وانما تجميدها. لأن مشروع فاس مرفوض من الادارة الامريكية كأساس للتسوية. فما كان من ريغان الا الترويج لمشروعه في تلك المحادثات كما أشار البيان المشترك. ولهذا لم تكن وكالة تاس بحاجة الى جهد كبير حتى تلحظ عدم توفر اتفاق بين وجهتي النظر السعودية والامريكية

في محادثات واشنطن. واذا أضيف الى ذلك التشديد الذي حمله البيان المشترك حول حرب الخليج، باعتبارها، عملياً، الاولوية رقم ١، فسوف يتضح أن ثمة فارقاً في الاولويات التي تضعها السياسة السعودية والاولويات التي يطرحها الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني الذي وصفه مسؤول فلسطيني كبير، في أثناء دفاعه عنه قائلا: «أنه أعطى الاولوية لقضية فلسطين في المنطقة بعد أن دحرت الى الخلف طوال الثلاث سنوات الماضية لتتقدمها حرب الخليج والاحتلال الاسرائيلي للبنان».

ومن هنا تكون التقديرات والتصريحات التي اعتبرت السعودية داعمة للاتفاق الاردني ـ الفلسطيني لا تحمل درجة كافية من الدقة، كذلك ليس دقيقاً القول أن السعودية حثت ريغان على استعادة مبادرته والتحرك من جديد على أساسها. فالسعودية تدرك أن عودة ريغان الى المبادرة ستحدث تصدعات في الصف العربي قد تؤثر على الحرب في الخليج. لأنها ستفتح معركة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي، ومعركة بين سورية والاردن، كما بين سورية ومصر، وهي تريد تجنيد كل الطاقات لوقف تلك الحرب بما فيها طاقة أمريكا والاتحاد السوفياتي وأوروبا كما سورية والاردن ومصر وسائر الدول العربية.

ويجب أن يضاف في هذا الصدد الموقف السعودي الذي أعلنته بأكثر من مناسبة تجاه مبادرات التسوية، وهو التمسك بالاجماع العربي وتجنب الانفراد، وطبقت هذا الموقف حتى في موضوع عودة العلاقات الاردنية الديبلوماسية مع مصر. وانطلاقاً من مجموعة الاعتبارات التي وردت أعلاه وصل الامر بأحد المسؤولين الفلسطينيين الى تفسير عودة الحرارة في العلاقات الفلسطينية السعودية، كما عبرت عنها لقاءات الملك فهد بياسر عرفات قبل زيارته لواشنطن، وقبل توقيع الاتفاق الاردني الفلسطيني، الى حرص الملك فهد على الايحاء لياسر عرفات بضرورة التمسك بمشروع فاس والاجماع العربي وعدم توقيع اتفاق مع الاردن على أساس مشروع الملك حسين. وبالمناسبة يمكن توقع أن يكون العراق قد أبدى تحفظه تجاه الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني والسياسة المصرية الداعية الى تحريك مبادرة أمريكية جديدة للاسباب الانفة نفسها. علماً أن وزير خارجية الاردن صرح بتطابق وجهات النظر بين الاردن والعراق اثر لقائه بالرئيس العراقي صدام حسين، بعد توقيع الاتفاق.

وأخيراً لا يمكن الا أن يلاحظ الحرص السعودي على التنسيق مع سورية قبل زيارة الملك فهد لواشنطن وبعدها حيث انتقل الى العاصمة السورية في الحالتين موفدان سعوديان كبيران الاول عبد الله بن عبد العزيز ثم بندر بن سلطان وهذا التنسيق غير ممكن في اطار التأييد السعودي للاتفاق الاردني ـ الفلسطيني. كما يمكن أن يلاحظ من جهة أخرى أن الاعلام السوري لم يطلق كلمة تخوف واحدة من لقاء فهد ـ ريغان، لا قبله ولا بعده وبينما صب نيرانه على الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني وراح يمهد للهجوم على زيارة حسني مبارك لواشنطن.

ع. نصر الله

حول الاتفاق الاردني الفلسطيني



الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني الذي وقعه الملك حسين وياسر عرفات ولّد موجات من التعليقات المتباينة على المستويات الفلسطينية والعربية والدولية. وبدا أنه من طراز الاحداث التي تكاد لا تحتمل موقفاً وسطاً يخرج عن التأييد الحار أو المعارضة الحادة.

جاءت المواقف الفلسطينية شديدة اللهجة في الرفض وفي القبول. وقد عمقت من الشروخ الفلسطينية ـ الفلسطينية وكادت تجعلها جبهتين بدلا من ثلاث جبهات. وتجعل جبهة المجلس الوطني السابع عشر اثنتين بعد أن كانت واحدة.

فقد أصبح التحالف الديمقراطي قريباً جداً من جبهة التحالف الوطني في مواجهة هذه الاتفاقية التي اعتبرتها الجبهة الديمقراطية مسيراً على طريق كمب ديفيد، وتوجهاً نحو أمريكا، بينما اعتبرتها الجبهة الشعبية مثلها مثل سائر فصائل التحالف الوطني بمنزلة الخيانة الوطنية فرفعت شعار «اسقاط

الرمز والنهج».

أما الموقف الثالث، في هذه المرة فقد تبناه تيار من بين المشاركين في المجلس الوطني الاخير المنعقد في عمان. وقد ظهر ذلك في البيانات والتصريحات التي اعلنتها بعض قيادات فتح بما يفهم منه أنها غير موافقة، أو شديدة التحفظ، على الاتفاقية، وكان التعبير عن ذلك من خلال التأكيد على ما أسمته بالثوابت الفلسطينية مث وحدانية التمثيل الفلسطيني من قبل (م. ت. ف) والتمسك بالدولة الفلسطينية المستقلة ورفض ما يسمى بالوفد المشترك أو الانابة أو التوكيل فضلا عن اعلان الرفض الحازم لقرار ٢٤٢ (مثلا، تصريحات فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية ل(م. ت. ف) وصلاح خلف عضو اللجنة المركزية لحركة فتح).

حددت سوريا وليبيا موقفاً حاسماً في ادانة الاتفاقية ووصفتها «بالاستسلامية والخيانية»، وانضمت اليمن الجنوبي اليها في معارضتها لها. بينما جاء الموقف المصري ايجابياً، شديد الحماسة لها، واعتبرها الحدث الذي يمكن أن يحرك مفاوضات التسوية في المنطقة. ودعا أمريكا واسرائيل الى التجاوب معها وتأييدها «وإلا ضاعت فرصة تاريخية». أما أغلبية الدول العربية الاخرى و فآثرت الصمت وعدم التعليق، وربما التحفظ، بما في ذلك الجزائر التي زارها الملك حسين فور توقيع الاتفاقية. وان كان من المتوقع أن تؤيدها السودان بصورة خاصة.

حظيت الاتفاقية من الولايات المتحدة بتأييد متحفظ، وكان أسخى وصف لها صدر عن البيت الابيض القول بأنها «حدث هام». بينما حاولت القيادة الاسرائيلية تجاهل وجود أي جديد فيها يستحق النظر اليها بايجابية. أما أوروبا فقد كانت أكثر حماسة واهتماماً بها، خصوصاً، رئيسة وزراء بريطانيا التي دافعت عنها بحرارة في لقائها مع الرئيس الامريكي ريغان في الحادي والعشرين من شباط ١٩٨٥. أما الاتحاد السوفياتي فلم يخف، في هذه المرة، معارضته لها من خلال صحيفة البرافدا والتعليق الرسمي في اذاعة موسكو العربية ١٩٨٥/٢/٢٠.

أما دول حركة عدم الانحياز فقد بدت أقرب الى الصمت، شأنها شأن الاغلبية من الدول العربية. وان كان من المتوقع أن تأخذ الصين موقفاً ايجابياً منها.

اذا كانت زيارة السادات الى القدس قد أجهضت البيان الامريكي ــ السوفياتي الصادر في اكتوبر ١٩٧٧ حول الشرق الاوسط، فان الدور المصري النشط في انجاز الاتفاق الاردني المصري يمكن أن ينظر اليه كخطوة اجهاضية محتملة للقاء الامريكي ــ السوفياتي الاخير في فيينا حول الشرق الاوسط.

هنالك أنباء تقول أن أسامة الباز أسهم مباشرة في انجاح الاتفاق المذكور، وتذليل عدد من العقبات في طريقه، ونقل عن مصادر مصرية موثوقة أن الرئيس المصري سيحمل هذا الاتفاق في زيارته الى واشنطن من أجل اقناع الرئيس الامريكي باعادة الحياة الى مبادرته، وتنشيط مساعي التسوية، وقد سبق للاعلام المصري الرسمي أن أظهر قلقاً شديداً من الانباء القائلة أن

الادارة الامريكية قررت تجميد مبادراتها للتسوية في المنطقة، ان لم تكن قد وضعتها على الرف، مركزة على أولويات أخرى. وانه لمن غير الصعب ادراك الدوافع المصرية وراء اعادة تحريك التسوية واشتراك الاردن والفلسطينيين بها. وقد أصبح هذا الامر ملحاً بالنسبة اليها بعد أن اتضح لها أن استمرار التجميد لن يؤدي الى عودتها الى الصف العربي وانما ابقاءها أسيرة نتائج اتفاقات كمب ديفيد ومعاهدة السلام الاسرائيلية ــ المصرية.

الملك الاردني حسين صاحب الدور الثاني في الحرص على الوصول الى الاتفاق الاردني ــ الفلسطيني بالشروط التي أبرم بها، وهو يرى في ذلك استعادة، ولو بصورة غير مباشرة، لبعض ما فقده في قرارات القمة العربية في الرباط ١٩٧٤، حيث كان قد اعترض على اعتبار (م. ت. ف) الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. لأن ذلك يعني بالنسبة اليه نزع يديه عن تمثيل الضفة الغربية التي يعتبرها جزءاً من المملكة الاردنية الهاشمية و يعتبر سكانها جزءاً من الشعب الاردني.

أما من جهة أخرى فلا يصعب على من يلحظ الجغرافية ــ السياسية للضفتين الشرقية والغربية لنهر الاردن أن يدرك معنى فقدان الضفة الغربية واقامة دولة فلسطينية مستقلة عليها، بالنسبة الى المملكة الاردنية الهاشمية، ومن هنا لا يمكن أن ينظر الملك الاردني الى العلاقة بالضفة الغربية (أصبح يضاف اليها الان قطاع غزة) أو الى العلاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية الا ضمن مقتضيات هذه الجغرافية السياسية، والوحدة التاريخية للضفتين التي تكرست منذ ١٩٤٩ حتى حزيران ١٩٦٧. الامر الذي يجعل قبوله للكيان الفلسطيني أو لمنظمة التحرير مقيداً في اطار كونفيدرالي يكون الدور القيادي فيه للملكة الاردنية الهاشمية بزعامته، وهذا ما أراد تكريسه في الاتفاق الاردني ــ الفلسطيني، مما يسمح بتصور اللحظة العسيرة التي مر بها ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وهو يوقع على اتفاق، أول بنوده «الارض مقابل السلام» وفق قرارات مجلس الامن التي تتضمن القرار ٢٤٢. هذا القرار الذي لا يعترف الا بالاردن طرفاً معنياً بالاراضي التي احتلت في حزيران ١٩٦٧، ولا يلحظ من قضية فلسطين وشعبها غير مشكلة لاجئين يصار الى ايجاد حل عادل لهم باعتبار كذلك. وليس باعتبارهم شعباً له حق تقرير المصير، بما في ذلك، حقه في اقامة دولته المستقلة، كما تريد (م. ت. ف) بزعامة ياسر عرفات.

ومن هنا كان على ياسر عرفات الاختيار بين اغلاق البابين. الاردني والمصري، ومن ثم احكام الحصار العربي عليه أو التوقيع على الاتفاق المذكور. فاختار كأس المرار الثاني على الاول. ويجب أن يضاف الى هذه المعادلة مراهنته على فشل التسوية التي يراد من أمريكا رعايتها انطلاقاً من الضغط المصري المعزز بالاتفاقية الاردنية ــ الفلسطينية فسيكون قد اختار أهون الشرين. أي اختار الخطر المحتمل على الخطر الداهم. أما اذا قدر لهذه المراهنة ألا تكون في مكانها فسيكون قد اختار اسوأ الشرين بالنسبة اليه شخصياً قبل غيره.

حتمالات تحريك التسوية

لعل وجهة النظر التي تتوقع تجميد أو تعثر مساعي التسوية الامريكية، في المستقبل القريب، أكثر مصداقية من وجهة النظر التي تتوقع العكس. فمن جهة ينبغي أن يؤخذ بالحسبان أن الادارة الامريكية اتجهت منذ مدة الى تجميد مبادراتها في منطقة الشرق الاوسط وهي اذا تحركت، في هذه المرة، فسيكون ذلك تحت الضغط المصري ــ الاردني مدعوماً ببعض الاوربيين، بينما ستواجه معارضة من القيادة الاسرائيلية التي لا يحتمل ائتلافها توجها جدياً قد يمس أراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة وستواجه معارضة حاسمة من الاتحاد السوفياتي قد تهدد التوجه الحالي للمحادثات ضمن روح لقاء غروميكو ــ شولتز الاخير في جينيف، أما على المستوى العربي فستجد نفسها في معركة ضد سورية في وقت، تحاول فيه تعمير الجسور معها ابتداء من لبنان على الاقل. وكذلك ستواجه موقفاً سلبياً، ان لم يكن معارضاً، من قبل السعودية ودول الخليج التي ترى أن الاولوية يجب أن تعطى لحل مشكلة الحرب في الخليج لا فتح جبهة أخرى. لان أية مبادرة أمريكية جديدة في الشرق الاوسط ستؤدي الى تصدع جديد في الموقف العربي والدولي، كما حدث في عملية توقيع اتفاقات كمب ديفيد، وهي تخشى، أي السعودية، أن يؤدي ذلك الان الى نشوء ظروف تسمح بتطور غير محسوب على جبهة الحرب في الخليج.

ومن هنا فان من الارجح أن تؤثر مجموع هذه العوامل على قرار ريغان مما يجعله يتباطأ في السير على الطريق الذي تمهد له مصر والاردن، واذا سار عليه فمن الارجح أن يأخذ شكل اتصالات تمهيدية لا مبادرة هجومية.

ومن ثم تكون احتمالات الفشل المصري ــ الاردني مع أمريكا أقوى من عكسها، مما يجنب ياسر عرفات الخطر الاكبر الذي ينتظره من الاتفاقية الاردنية ــ الفلسطينية في حالة تنفيذ مشروع للتسوية انطلاقاً منها.

ع.ن

من تراث الحركة الاسلامية المعاصرة

قراءة اصولية في الفكر السياسي الاسلامي

د. حسن عبد الله الترابي

(١)



الفقه السياسي الاسلامي في التاريخ:

كان المجتمع الاسلامي النموذجي الاول الذي اسسه الرسول صلى الله عليه وسلم على هدى القرآن يحتوي على امكانات مذخورة لنشأة فقه اسلامي متكامل يشمل كل مجال في الحياة. ويهدي في خاصة شأن الانسان وفي عامة السياسة في المجتمع. ذلك أن سنة الواقع الاسلامي على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت نموذجاً متكاملا للحياة، فسيرته صلى الله عليه وسلم لم تكن دعوة فقط شأن بعض الرسالات بل جاء يتلو بلاغاً من الله و يزكي به النفوس و يدبر عليه المجتمع. ولم يكن ذلك المجتمع بكل وجوده جماعة محاصرة في كنف مجتمع جاهلي مناوىء او نظام مباين. بل تهيأ للرسول صلى الله عليه وسلم ظرف قامت فيه دولة تامة قيادتها الرسول صلى الله عليه وسلم وغالب مواليها من المسلمين يتعاملون في ظل سلطانها و يتحاكمون ويجادلون عنها و يقاتلون. ولم يكن القرآن الذي نزل محض خبر عن الغيب أو قصة للتأريخ أو موعظة للوجدان أو توجيه للمجتمع أو قانون للحكم، بل كان خطاباً جامعاً فيه تفصيل كل شيء. وقد كان للمسلمين في اصول الدين حينما نزل الشرع دواعي نهضة دستورية

رشيدة، تثرى بالمواقف النفسية والمفهومات الفكرية والنظم العملية. ذلك أنهم قد اعتصموا بعقيدة التوحيد وعرفوا الله حكماً عدلا فوق الارض فقد استقر عندهم اذا معنى الشرعية العليا الذي لايؤسس الحكم الدستوري الا عليه، ذلك خلافاً لاهل العقيدة الوضعية الذين قد يتخذون السلطان حكماً مطلقاً بغير مرجع يحاكمون عليه، أو يديرون الصراع بين القوى السياسية بغير ضابط يرضونه ولا ميزان يودون اليه النزاع. ولئن نشأ القانون الدستوري في العصر الحديث عندما اهتدى الوضع البشري بعد طول الخبط في التجارب الى اعراف واحكام عليا مدعية بتواضع عليها المجتمع لقطع النزاع السياسي في اطار من النظام والتسليم، فقد بدأ تأريخ المسلمين الدستوري فعلا بالهجرة مع قيام الدولة بالمدينة ولقد تأسست تلك الدولة لاول عهدها بدستور مكتوب «وورتن كان ستيتوتن» وكانت تلك الوثيقة عهداً للمواطنة بين مختلف اهل المدينة وتعبيراً عمليا عن مقتضى الدين لله في الامر كله على هدى مكتوب. وحدثت من بعد ذلك تطورات وتجارب في الحكم الدستوري فقد ظهرت ظواهر الاختلاف السياسي على تقرير القرار العام في الحرب والمسالمة وغيره. واتخذت سنن التجاوز الاختلاف وانطرحت من ثم اشكالات الشورى ومعانيها الفقهية وأعرافها الخلقية وصورها التطبيقية. ثم برزت من بعد مسألة المعادلة بين القيادة الكلية المركزية المتمثلة في امامة الامة والولايات الجزئية على بعض وظائف الحياة العامة أو على بعض اقاليم ارض الاسلام. واتخذت بعض المفهومات والتدابير الادارية لتوزيع وظائف الدولة الاسلامية وترتيب علاقاتها، فنشأ نظام الولاية على الصدقات وجمعت الزكاة من أموال المجتمع بمقدار مضبوط وطرائق معلومة ووزعت على المستحقين وانتشر المعلمون والعمال والامراء وسائر الولاة المسئولون عن الوظائف العامة وتأسيس نظام للقضاء ليسوى الخصومات تحكيماً للشرع. واستمرت دولة الراشدين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تستمد من هديها وتطور تلك التجارب وتضيف اليها على ذات السنة والمعاني والقيم. فتطورت النماذج الشورية السياسية في خلافة الولاية الكبرى على المسلمين وفي اختيار سائر الولاة وفي اتخاذ القرارات حول الحرب والسلم وحول تدبير المال العام والسياسة الحكمية وتطورت طرق الفقه أخذاً عن القرآن واستنباطاً للاحكام التفصيلية وطرق التشريع وفاء بمصالح الامة. وتطور القضاء تطوراً واسعاً وتطورت نظم الادارة السياسية والادارة الاقتصادية والادارة العامة.

اذن فقد كانت الامكانات المذخوره لقيام فقه سياسي اسلامي واسعة جداً وكان يمكن لتلك النهضة الفقهية الدستورية أن تضطرد استيعاباً للاقضية المتجددة مع تطور الاحوال وتعميقاً فيها لاصول الفقه السياسي وقواعده، وتكثيفاً لفروعه واحكامه. لكن الذي حدث في تأريخ المسلمين ان تلك السيره الاولى من الحياة المتكاملة النامية لم تستمر بتلك الهيئة الشاملة لينشأ عنها تطور باتجاه الفقه المتكامل في جوانب الحياة كلها فقد اصابت الفتنة المسلمين في سياستهم أول ماأصابتهم وبدأت السياسة في واقع الممارسة تتطور بدفع الاهواء من حب السلطة والعصبية والمغالبة وانحسرت نيات العبادة ومقاصد التدين في الحياة

السياسية وتضاءل الحرص على تحري فهم الدين في السلوك السياسي والالتزام بحكمه في الامر العام. ولما كان العلم والعمل متلازمان فلا ينمو العلم الا بغذاء من انفعالات العمل وتجاربه فقد انقطع الفقه السياسي عن القاعده التي تثريه ليؤول من بعد الى ذبول في نهجه ومادته وتعرض الفقه كله الى شيء من الاعتلال لما حرم من معالجة شئون الحياة العامة ومن تكييف أصوله ليستوعبها، ولكنه بأصول قاصرة على ما يناسب ماسوى السياسة العامة ظل يعالج حياة المسلمين الخاصة ويمتد ويتسع في طرائقه واحكامه، حتى بدت المفارقة واضحة جداً حين تقارن الكسب الفقهي السياسي الضئيل الذي ورثناه بتراث الفقه الجليل في سائر جوانب الحياة.

لقد بدأت علل الانحطاط السياسي مبكرة في التاريخ الاسلامي وتمثلت الفتنه الكبرى اختياراً أول لمقدرة المسلمين على تجاوز الخلاف والاضطراب السياسي بالشورى والاجماع الضابط أو بتحكيم السواد الاعظم والتزام أحكام التوالي والتأخي والاتحاد بين المؤمنين، فلم يتمكنوا من تحقيق كثير من ذلك واتسعت مساحة الصراع وتردت طبيعته عندما تحول نزاعاً بين الطالبية والامويين تلاشت فيه كثير من ضوابط الاسلام الايمانية والفقهية التي تحاصر فتنة الصراع السياسي وتردها الى ميزان عدل وجاءت الممارسات السياسية للامويين خروجاً ظاهراً على أهم احكام السياسة الاسلامية ونهجها فانحرف معنى البيعة عندما اصبحت تتم بغير المشاورة العادلة والاجماع المرضي والاختيار الرشيد للاقوى والاتقى وانحرف معنى الشورى عندما اقتصرت على النفر الذين يرضى عنهم السلطان دون سواد المجتمع المسلم. واصبح الانحراف العملي تحريفاً لدستور الولاية العامة في الشرع حينما توطدت الملكيات الوراثية. وبظهور السلاطين بلغ التحريف الى اصول العقيدة التوحيدية السياسية. اذ تطورت النظرية في بعض الادب الاسلامي الفارسي بالتمييز بين الخليفة سلطة دينية وبين السلطان حاكماً وضعياً. وطفقت أحزاب وجماعات وعصبيات عرقية ومذهبية وسواد عظيم من الناس يضربون باهوائهم وعصبياتهم في عالم السياسة غافلين عن وجه الله ملتهين بضرورات الصراع وفتنه عن توخى حكم الاسلام في الامر وزهد اكثر الامراء عن تحري الفقه الذي يهديهم الى مواقف العقيدة ومذاهب السياسة اذ ازدهوا بالسلطان المطلق.

أما الفقهاء فقد انصرفوا بغالب همهم عن شئون السياسة التي لا يذكرهم بها مستفت أو سائل ولا يرعى حدود توجهاتهم فيها منقلب أو ثائر وبذلك عكفوا على جوانب الحياة الخاصة وصوبوا نحوها كل طاقاتهم الاجتهادية والعالمية، ومعلوم أن الفقه ليس صناعة للنظر التجريدي يختص بها الفقهاء بمعزل عن الجمهور، ولكنه ثمرة مجتمع مقتضى بالايمان مشتغل بمقتضياته العملية، اذ تثور في حياته المسائل ويسأل الاقل علماً الاكثر علماً فستفز الاعلم الى الاجتهاد من أجل ان يجيب ويتشاور العلماء ويتحاورون على ملأمن عامة المسلمين الذين يتخذون من الفتوى ماهو أرضى عندهم ويجربون في تطبيقها ماهو أوفق، فيكون في ذلك كله مايقدم الفقه ويقدمه، حتى تطرأ المشكلات وتجدد الاقضية فيتولد مدد فقهى جديد، وهكذا تضطرد نهضة الفقه بحركة المجتمع

المؤمن الدائبه، وتبطيء حركة التفقه حتى تجمد اذا فترت حركة الحياة المؤمنة أو غدا الدفع الاجتماعي في ضلال عن هدى التدين، وقد يتخلف التدين عن السياسة تخلف الفقه كذلك حتى جمد وافتقر الامر على حفظ التراث القديم.

واذا تحدثنا عن حالة تدهور الفقه السياسي، فقد تلت مراحل تعطل فيها الاجتهاد وأغلق بابه وتوقف فيها الفقه الاسلامي السياسي تماماً. ولئن استمرت جوانب الفقه الاخرى ضمن الممارسة اليومية للمسلمين واستمر الوعى بها وتدريسها للمتعلمين، فان الفقه السياسي قد خرج من وعي الناس واختفى من المناهج الدراسية وأضحت التصورات السياسية للمسلمين تتسم بالسذاجه حتى على صعيد القلة من الذين كتبوا في السياسة من الفقهاء. فأصبحت البيعة عند (الماوردي) في الاحكام السلطانية، عقد يمكن أن يقوم بين اثنين شأن بقية العقود الخاصة وانما هي بيعة المجتمع الاسلامي كله للسلطة التي تقوم عليه. واستمرت كتب أصول الفقه خالية من أي ذكر للسياسة والسلطان، وانحصر التدين السياسي في وجود حاكم مسلم أو خليفة يرتبط الناس به بشكل من اشكال التعلق الديني مهما كان مصدر سلطته ونهجه في الحكم وأصبح المغزى الوحيد للدين في الاطار السياسي هو استشعار الذاتية السياسية الاسلامية في وجه العالم غير المسلم خاصة في ثغور الجهاد وفي أيام الهجمة التنزية والصليبية الاستعمارية. فلئن صدق عند ئذ شعور المسلمين بكيانهم الديني المحلى أو بانتمائهم للامة الاسلامية فقد خلا الكيان الاسلامي الداخلي الا من قليل من مواقف سياسية منطلقة من فقه ودين.

يلاحظ المتأمل في ملامح قصة الفقه السياسي الاسلامي عاملين اساسين انتهيا بالمسلمين الى هذه الانتكاسة. اولها ضعف التربية الايمانية للمسلمين وهي القاعدة التي يقوم عليها التدين السياسي ولعل مرد ذلك الى اضطراد دخول قطاعات واسعة جديدة في الاسلام ممن لم يتزكوا بمعاني الدين التزكية التي نالها الاجيال السابقة الاولى. وجلبت هذه الكثرة الوافدة معها الى الاسلام ميراثاً ثقافياً مؤثراً وتقاليد عريقة في السياسة الملكية الوراثية غير شورية، فدعمت بحكم معهوداتها خط الانحراف عن الشورى وظهور الملكيات الوراثية في التأريخ الاسلامي.

وأما العامل الثاني فهو المشكلة العملية المترتبة عن اتساع الرقعة الجغرافية للكيان الاسلامي، اذ لم يستطع المسلمون أن يستدركوا هذا الاتساع باجراءات شورى متسعة تتجاوز تحدي التباعد الجغرافي والمشكلات العملية التي تعترض طريق التدين لتستدعي دائماً المزيد من التزكية الايمانية ومن الخطط الفقهية والتدابير العملية، لكن كسب المسلمين الروحي والفقهي والعملي لم يكن حينئذ في ازدياد.

جاءت الصحوة الاسلامية الحاضرة وألفت المسلمين عليهم غشاوة من الفتنة بالنظم السياسية والدستورية التي جلبت من الغرب وقد ظلوا حيناً من عهدهم المعاصر غير عابئين الفقه السياسي الاسلامي، اذ كانوا في غمرة الاحتفال بالنظم الغربية، وطرحت الصحوة الاسلامية لاول وهلة دعوة العودة الى الاسلام ولم تلبث أن فضحت باطل النظم الوضعية وأسعفها في ذلك زيف التطبيق السياسي المقلد للغرب وفشله، فأستيقظت

فطرة المسلمين المؤمنة وانتبه وعيهم بتأريخهم وتعبأت طاقاتهم السياسية حتى غدا التوجه الأ أصول الاسلام وتراثه ضرورة لازمة في واقعنا الحديث.

لكن الواقع المادي والاجتماعي للكيان الاسلامي الذي وافته هذه الصحوة يتمثل في حياة حضرية كثيفة. ففي عالم اليوم تعقدت طبيعة الحياة العامة ونظم السياسة والادارة والاقتصاد واتسع سلطان الدولة ليحيط بوجوه الحياة كلها بأدوات توجيه وضبط فعالة ونافذة، بل اصبح واقع الحياة كله معقداً أو متغيراً كل ذلك يجعل الاشكال الذي يواجه الصحوة الاسلامية، فلئن أفلحت في ان تجعل من بعث نظام الاسلام أمراً لا مناص منه، فانها تسير على طريق يعز فيه الدليل لضآلة الزاد الفقهي. لقد تفجرت بهذه الصحوة الاسلامية طاقة سياسية ايمانية جليلة تتجاوز المواعين الفقهية الضئيلة المتاحة للتعبير عنها. ذلك لما قدمنا من أن الموروث من الفقه السياسي زهيد جداً بالنسبة الى الموروث من التراث الفقهي عامة، وان هذا الفقه قد انقطع مدده وجمد منذ زمان ومن جانب آخر تكشفت حاجات المجتمع المسلم المعاصر للتوجه السياسي الديني وتوافرت النظريات الدستورية المقارنة وتراكمت التجارب البشرية السياسية غير الاسلامية.

ولما لم يسعف الفقه الاسلامي الموروث هذه الصحوة بمدد كاف أصبح كثير من المقولات التي بدأت حركة الاسلام المتجددة تعبر بها عن نفسها مأخوذة من النظريات السياسية السائدة في العالم من حولها مهما كانت تستنبط من أساس وتجربة لاعلاقة لها بالاسلام. فحين سادت نظريات الحكم الاستبدادي في لوروبا وغر الناس بنجاحه البادي غرورا، ظهرت في العالم الاسلامي مقولات الديكتاتور الصالح والمستبد العادل. وعندما انتصرت وتمكنت الديموقراطية والديموقراطيات بعد الحرب جاء حديث الديموقراطية في الاسلام وظهرت المقارنات تنسبها الى الشورى. وعندما اعلنت وثيقة حقوق الانسلن وراج شعارها انعكس حديثاً عن حقوق الانسان في الاسلام. وهكذا نظريات الفكر السياسي التي سادت في عصرنا وجدت اصداء لها في المحيط الاسلامي تحاول ان تلبسها بطرق مختلفة لبوس الاسلام. ولم يسعف الصحوة الاسلامية الفقه السياسي الذي قدمته كتابات الدعاة الاسلاميين المحدثين اذ أنه على الاغلب فقه جدلي تجريدي لا علاقة له بواقع دولة حديثه، اذ ليس من شأنه بيان الاسلام تفصيلا لفرض التطبيق بل هو بيان عام ليطمئن الايمان بحق الدين ولتندحض الشبهات والريب ولتصوير التأريخ الاسلامي بما يرد الثقة والافتخار بتراثه. وفقه الدعوة انما يدور التساؤل فيه حول الاصول والقيم المثلى حتى تسلم وتتطور قضايا الفقه لتصوب على تشعيب الفروع وتعيين الممكن تطبيقه فعلا في سبل السعي نحو المثال.

لقد نشرت دراسات حديثه في اصول الفقه لاتجد فيها ذكراً أو دوراً للدولة، وطرحت آراء وأحاديث على الاجتهاد دون تعرض لدور الشورى في اثارة القضايا ثم في اقرار مايخلص اليه الرأي ونشطت دعوة لوحدة المسلمين في جامعة سياسية دون تناول لاشكالات الواقع الراهن للعالم الاسلامي القائم على التعدد القطري دون تصور لقيام حكم اسلامي في كيان اقليمي مقصور

وعلاقة هذا الكيان ببقية الامة الاسلامية . و يكثر الحديث عن الحرية في الاسلام دون أن يحرر تفاصيل المعادلة بين مداها في جانب النظام العام أو اجراءات ممارستها أو مشكلة تنظيمها من خلال المذاهب والاحزاب .

لقد كان خير ماقدم في اطار الفقه السياسي تحرير القضايا العقدية الايمانية مثل مفهوم الحاكمية التي اصل لها ودعى اليها الاستاذ أبو الأعلى المودودي والشهيد (سيد قطب) وحق لذلك ان يستحوذ على اهتمام المسلمين في عهد الدعوة والانتقال الى الاسلام، لكن مايبلغ المسلمين مدى في التذكر بعد الغفلة واليقين بعد الشك وتقبل الدعوة والتقدم في طريق الانتقال الى حق الاسلام حتى تجابههم مشكلات الانتقال الى واقع الاسلام و بناء الدولة المسلمة بما تقتضيه من مواقف ايمانية صوب كل شعبه من شعاب حياتها السياسية ومذاهب تصور فقه وأعراف سلوك ومعاملة ونظم ومؤسسات لتدير وظائف الدولة وادارة علاقاتها . كل ذلك في سياق حاجات ظرف الانتقال الواقع .

الفقه السياسي ومشكلات الانتقال

عرف المسلمون الخلافة الراشدة وعرفوا ضروباً من الحكم الملكي والاستلابي وعرفت البشرية حكم الفرد المستبد للامر والمشارك للملأ من الرعية في بعض الامر ثم اهتدت اوروبا الغربية الى الديمقراطيات وكل هذه السنن الفانية والباقية وماثار حولها من مذاهب الفكر تراث ينبغي أن تشرى به مادة كل فقه سياسي اسلامي معاصر. ولابد من أن يعتبر مثل ذلك الفقه بعلم النظم المادية الاجتماعية الحديثة التي تتنزل عليها احكام الاسلام لتجسد نموذج الحياة السياسية الاسلامية اليوم. والفقه كما معلوم، ومهما كانت اصول الاسلام ثابتة ازليه صالحة لكل زمان ومكان، انما هو كسب المسلمين في فهم تلك الاصول الموحاة وتطبيقها على كل واقع معين والفقه من ثم يحكم القصور البشري لواضعيه والحد الظرفي لموضعه ـــ لايخلد ولايصلح بتفاصيله لكل مجتمع خالف من بعده وهاقد حالت الظروف والاطر فأصبحت المجتمعات حضرية كثيفة كما قدمنا وأصبحت الامكانات المادية والفنية التي يتيحها العلم الحديث اوسع من سالف الوسائل. وهاقد تراكمت تجارب التاريخ البشري في الممارسة السياسية و بانت عبرة وعظة للمتدبر. فلا بد في تنظيم الشورى وفي تقدير الحرية وفي نظم اختيار الولاة وفي سائر قضايا النظام السياسي الاسلامي من تطوير احكام فقهية جديدة تضبط المعادلة الحق بين المصالح المرجوه والمفاسد المخوفة كما تقدمها معايير الدين و يبرزها الواقع المعين. و يبين المثل الدينية وحدود الامكان كما يتيحها ذات الواقع .

١ ـــ ان البيئة التاريخية والطبيعية الراهنة تجر على المسلمين مشكلات انتقال خاصة في شأن سياستهم تعقد عليهم الفقه ذلك ان الحكم الرشيد في الاسلام يستصحبه شعباً ذاكراً واعياً بدوره في دولة اسلامية، وشعوبنا للاسف ضئيلة الكسب من الاسلام ايماناً وعلماً. فأما نظام نقدره بفقهنا للاسلام الان انما يطبق على مجتمع نعلم أنه محدود الزاد من الايمان والفقه الاسلامي العملي في واقع

الحياة فلن يتيسر قيام المجتمع بموقف عملي صحيح الا برصيد من الايمان والعلم اللازم لذلك القيام. ولذلك نضطر الى فقه انتقالي غير سوى اذ تلتوى به أحوال العلل والضرورات فيتعقد ويميل الى عزائم زائدة أحياناً والى رخص زائدة احياناً آخر، و يتخذ تدابير احتياط موقوته لسد الذرائع وتستدرك الثغرات التي تنشأ عن عجز الشعب عن الوفاء المشروع. يطرح طرف الانتقال أيضاً في وجه نمو الفقه السياسي، مشكلة الابتلاء بحكام كثيرين أقل ديناً من شعوبهم ولاهم لهم علاقة بالاهداف التي تطرحها صحوة الشعوب العماصرة. هؤلاء الحكام قد ركنوا في الفهم والممارسة الى الفلسفة العلمانية التي تفصل مابين الدين والسياسة فصلا بائنا ولا تقيم علاقة بينها البتة. وكأنهم انفعلوا بالانماط الثقافية الغربية أو استمرأوا قيامهم بحكم مطلق لا يخضع للدين ولا للشعب وتراهم يكبتون اتجاهات التعبير السياسي الاسلامي التي كان يمكن أن تتطور وتترشد في مناخ الحرية والحوار فتخرج لنا فقها رشيداً. أو تراهم يراوغون تلك الاتجاهات بالشعارات التي لاتحتوي ولا تنمى فقها وانما تحتوي دعايات ساذجة وترضيات مخادعة. مثل ذلك مايورد في مقدمات الدساتير من ان (دين الدولة الرسمي هو الاسلام أو كون الشريعة الاسلامية مصدراً للتشريع). بل أن كياناتنا وقياداتنا السياسية جلها كيانات غير مستقلة تابعة للدول العظمى. فأنى لنا أن نبلغ المدى في الأصالة الفكرية أو أن نستغل بنظم سياسية مستمدة من الاسلام مادمنا نستمد من الغرب المذاهب والانماط في الحياة العامة، طوعاً أو كرهاً.

ولئلا تتجاوز اندفاعات الصحوة الاسلامية نصيبها من العلم فيصبح الامر فوضى، لابد من أن يتناصر الاجتهاد والجهاد لتأسيس فقه اسلامي سياسي، فقه يبين العقيدة السياسية أولا، فيعلمنا كيف يتدين المرء في السياسة وكيف تدخل السياسة مرة أخرى في الدين بعد أن مرقت مروقاً بعيداً و يرشدنا الى المواقف الايمانية للمرء في كل مواقفه السياسية حاكماً كان أو محكوماً، ناخباً كان أو منتخباً وهكذا... ولابد كذلك من بعد النهضة العقدية السياسية من نهضة شرعية قانونية سياسية تطور النظم والمواقف العملية .

٢ ـــ يستدعى ظرف الانتقال ايضاً اجراء المقارنات اللازمة التي تقرب الاطروحة الاسلامية السياسية الى الواقع الحاضر والى فهم الناس، فأن الاسلام اليوم قد اغترب بعض الشيء حتى في اهله، وأصبح المعهود في النظم السياسية كلها تقريباً أو جلها مأخوذاً من تجارب الغرب، ولا يمكن ان يفهم الناس الاسلام، الا اذا قدمناه مقرنا مع مصطلحات ومفهومات من تلك النظم الشائعة، لايمكن أن نتناول قضية الشورى ونتجاهل مقرنتها مع تجربة النظرية الديمقراطية التمثيلية الحديثة واجراءاتها وأشكالها الحزبية والانتخابية ـــ واذا تحدثنا عن حاكمية الشريعة وعلويتها لابد من حديث عن المباديء الدستورية الحديثة ورقابه القضاء الحديث على دستورية القوانين ومشروعيه الادارة. ولا يمكن أن نتعرض لقيام دولة دينية دون التعرض لعبرة الدول الدينية التي عرفها العالم في الثيوقراطيات والتي تجلى فيها عدم التسامح والعصبية، ودون تميز الدولة التي

يقيمها الاسلام عن ذلك. ولايمكن أن نتعرض لوضع المواطن الفرد أو الانسان في الدولة الاسلامية وكيف تنشأ حرياته وحرماته من نظام الواجبات العينية والكفائية ومقتضيات مفهوم العبادة وعقيدة التوحيد الا اذا ادرنا الحديث عن نظرية الحرية الاباحية الواسعة التي عرفتها المجتمعات الغربية ومباديء حقوق الانسان الحديثة، ولايمكن أن نتكلم عن قيادة المسلمين أو أمارتهم الا مقارنة بنظم القيادة الحديثة في الانظمة الرئاسية والبرلمانية، أو ان نتحدث عن القضاء الا مقايسة الى النظم العدلية الحديثة.

٣ ــ ثم لابد أن يكون الفقه في مثل ظروفنا الانتقالية برنامجاً عملياً للحركة نحو الدولة الاسلامية، وان الدولة الاسلامية ينبغي الا تتصور حالة كمالية عند المثال الاعلى للحكم في الاسلام. ذلك كمال لن يقاربه نظام سياسي لاول المسير ولن يبلغه أبداً، لانه هدف مطلق يتخذ نصب الاعين طوال طريق الحياة السياسية للمجتمع، وانما على حركة الاسلام أن تشرع في السياسة من حيثما تيسر، وعلى الفقه الاسلامي السياسي أن يرسم الطريق من أوله متجهاً نحو ذلك المثال ــ فنحن ــ مهما قفزنا بالخيال الى الكمال ــ انما نبدأ بالفعل من واقع معين من مجتمعات سياسية للمسلمين حظها قليل من المواقف الايمانية والمواقف العملية الفقهية. ولو أن ثواراً مسلمين تمكنوا تماماً من كسر سلطة النظام السائد وبلغوا كل مبلغ في العلم والصرف لما تسنى لهم أن يقيموا دولة عن انقلاب تام. فهي لن تنشأ تامة لاول عهدها بل ستبدأ من بعض الطريق ثم تتقدم نحو مثل الاسلام، مثلا بدلا من ان ينتسب كل حديث فقهي عن النظام السياسي الاسلامي من حيث يقوم المسلمون اليوم من حيثهم الحاضر المنحط عن الاسلام، وحتى يسلك بهم الطريق باذن الله صعدا الى كمالات الاسلام.

ان الذي أعجز الحركة الاسلامية عن التحول الى قوة اسلامية فعالة من بين عوامل واسباب اخرى ــ هو أنها تعلقت بمثل تشخص نحوها بالاماني، ولم تقدم أي برنامج عملي تأخذ به مجتمعاتها من واقعها الى ذلك المثال بل لم تطور بعض الحركات نظم الشورى والقيادة حتى داخل كيانها الملتزم، فظلت نظم الشورى عندها تتسم بالضعف الذي واكب معنى الشورى ومسيرتها في التأريخ الاسلامي وجمدت على قيادة واحدة كما هو الحال في القيادات القاعدة الجامدة لمجتمعات المسلمين التقليدية. وعندما اخفقت الحركة الاسلامية المعاصرة في تحقيق ذلك المثال الذي نصبته اعتزلت المجتمع وتجافت عنه لتثبت ولائها وتعلقها بالمثال وكأنما تنتظر حدوث معجزة تحقق أمانيها الا ان رسالة الدين هي في أخذ الناس بالفعل من الظلمات الى النور، وليست هي من قبيل الامنيات والتمني. بل ابتلينا في ذات الحركة الاسلامية التي نرجوان تقود شعوبنا بالتوعية والتعبئة ــ ابتلينا بالاتجاهات الرافضة المتنطعة الفوضوية وبعض الاتجاهات التقليدية الجامدة، ومهما تشاكس الاتجاهان في الواقع السياسي أحياناً، فانها يصدان جميعاً عن تنظيم السياسة الاسلامية بما يحقق مقاصد الدين بتعبير فقهي دقيق معاصر، استغناء بالشعارات العقدية المبهمة عن اولئك و بالمقولات القديمة الساذجة عند هؤلاء.

هذا الواقع المبكي



هذه هي أمتنا الاسلامية، تمتد على طول المحور الجنوبي للعالم، تقطن معظم أرض العالم القديم، عالم الحضارات والانبياء والرسالات، ملايين من البشر، أكثر من نصفهم من الشباب، وأكثر من سبعين بالمائة منهم لا يستطيعون القراءة أو الكتابة و عشرات العواصم والمدن القديمة، قدم التاريخ نفسه، ترتفع فيها مآذن المساجد التي شهدت العصور، عصور الازدهار والاستعمار وانتفاضات الاستقلال والحرية، وبجانبها اكتظت مساحات الارض بالبنايات الحديثة والضجيج والازدحام، ازدحام في البيوت حتى أن مئات الالوف لا يجدون سكناً بمواصفات الحد الادنى للسكن البشري، وازدحام في الطرقات التي امتلأت بالسيارات المستوردة قبل أن نحسن ضبط اشارات المرور! وازدحام في داخل العربات وحتى أن الاغلبية من أبناء الامة العاملين تهان انسانيتهم كل يوم مرتين على الاقل، مرة في الذهاب لاعمالهم ومرة في العودة لمنازلهم، وطاحونة الحياة اليومية ومتطلباتها لا تنفك عن تدمير كل حياة في داخلهم. ملايين من امتنا يعيشون تحت خطر الفقر، والامراض المستوطنة ابتداء من الكوليرا ومروراً بالدوسنتاريا والاسهال التي تفتك بألوف الاطفال كل يوم، فلاحون لا يجدون أرضاً لزراعتها وان وجدوا فالارض لا تكفي لاشباعهم خبزاً في بعض الاحيان أو لتسديد أقساط الاصلاح الزراعي في أحيان أخرى، جوع حقيقي يفتك الان بالعديد من أجزاء وطننا في بنغلادش وأرتيريا وتشاد

والسودان، وجوع مقنع يحيط بعشرات المدن في أحزمة الفقر المكتظة بالبشر على أطراف العواصم.

انها صورة أخرى لهذه الامة التي رفعت لواء التقدم والتنوير في سماء الكون على مر قرون طويلة، صورة هي في الحقيقة والواقع أكثر ألماً ويأساً من قدرتنا على النقل والوصف، ولكن الظاهر أننا تعودنا عليها حتى أننا نكاد أن ننساها رغم أننا نمر بها كل يوم.

وهذه الصورة المؤلمة لواقع أمتنا ما زالت مستقرة مستمرة، لا تجد من يزيحها من مكانها أو حتى يجرؤ على تفسيرها وتعليلها. رحل الاستعمار عن بلادنا وأصبحنا أصدقاء لدولة، تصالحت الدول الرجعية والتقدمية وأزيحت حكومات الفساد وجاءت حكومات العسكر وأزيحت حكومات العسكر وأقيمت دول الاحزاب والبرلمانات، وأزيحت هذه وجاء غيرها.. وما زالت الصورة المؤلمة تعشش في كل مكان، بل وتزداد ألماً وقسوة في كل يوم.

لماذا فشلت كل مشاريع التنمية وبرامج التصنيع في بلادنا؟ لماذا تغرق معظم دولنا في الديون وعجز الميزانية، حتى الدول الثرية فيها؟

ان مجتمعاتنا تعاني من حالة انهيار كاملة في كل أنظمتها من نظام التعليم الى نظام المجاري!.

مصانع هائلة تبنى وفي سنوات قلائل اذا بها تتوقف لنقص قطع الغيار أو تخسر ادارياً وانتاجياً، وعشرات المشاريع والوسائل وطرق التنمية الزراعية ما زالت عاجزة عن أن تقدم لنا رغيف الخبز الذي نأكله وقبل عقود قليلة من الزمان كانت معظم أجزاء بلادنا على رأس قائمة مصدري القمح.
ومبان هائلة للجامعات والمعامل تنتشر في كل مكان لم تستطع حتى اليوم أن تؤمن لنا استقلالاً في الميكنة أو في العلاج والامصال أو حتى في مناهج النقد الادبي والفني، ومئات الافلام ودور النشر والادباء لم يستطيعوا الى الان أن يقدموا لهذه الامة وجهاً ثقافياً مميزاً..

أيها السادة: ان الواضح تمام الوضوح أمامنا أن هناك خطأ أساسي، خطأ جوهري، أكبر من أخطاء الادارة أو الرشوات أو عدم معرفة السوق العالمي، أو نقص الامكانيات في الجامعات أو عدم هطول المطر في هذا الموسم أو الموسم السابق، أو حتى اطراد نسبة الزيادة في السكان.

ان هناك خطأ عميق، تجاهلناه عشرات السنين عامدين متعمدين، وقد دفع عشرات المفكرين والقادة والعلماء حياتهم وهم يحاولون تحديد هذا الخطأ وحدوده أمام أعيننا، وهو خطأ لا يذهب أو يتضاءل بتجاهله، لأن لديه القدرة على التوالد والانتشار وبناء نفسه في كل مجالات حياتنا من مرحلة لاخرى.

باختصار شديد، نحن أمة تابعة، أمة ذيلية ــ ان كان لا بد من استخدام الوصف الصحيح ــ والتبعية تسكننا حتى العظم، وقد اجتاحت كل نواحي حياتنا، من نظام الادارة الى الصناعة والزراعة الى التعليم، الى الفن والادب، فهي حالة كاملة من انسحاق الذات وذوبانها في الاخر، في الذات الغريبة الدخيلة، التي أصبحت تهيمن على كثير من مجالات نشاطاتنا كأمة، وقد تقودها أحياناً.

وفي سياق حالة التبعية أضعنا أصالتنا

وامكانيات تطويرها ولم نصل الى مستوى «الاخر الغريب» الذي نحاول تقليده.

لقد جلبنا نظاماً اقتصادياً ومالياً غريباً عن تراب الامة الممتد عبر القرون، وأقمنا أنظمة للزراعة منافية لفطرة الانسان، وبغباء شديد منافية للطبيعة نفسها في وطننا وبنينا جامعات غريبة عن أنفسنا وغريبة عن حاجتنا الحياتية المباشرة، وألاف الكتب والافلام والبرامج الاذاعية والمسرحية لاعلاقة لها من قريب ولا من بعيد بقيم الامة ومثلها، فاجتاح الخلل الاجتماعي والنفسي وأدى الى هزيمة كل محاولات النهضة، وفي كل مرة حاولنا فيها أن نبدأ من جديد، كنا نعود الى الخطأ نفسه ونكرر الدورة، ونرسب الاحباط واللا انتماء في وعي شعوبنا، لقد كنا كمن وضع قناعاً على وجه ليس له، فلا نحن أجدنا صنع الملامح المزيفة ولا نحن حافظنا على ملامح الوجه الاصيلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

احمد صادق

الاخوة قراء الطليعة الاسلامية

نحيط الاخوة الذين يرغبون بمراسلة الطليعة الاسلامية إن عنوان المجلة في الولايات المتحدة، قد تغير وإن العنوان الجديد هو:

P. O. BOX 33807
Raleigh, N C 27606
U . S . A.

علماً بأننا سنستمر في استلام الرسائل على العنوان القديم ولمدة شهرين من الآن حتى نضمن وصول رسائل الأخوة اللذين ارسلوا رسائلهم على العنوان القديم.

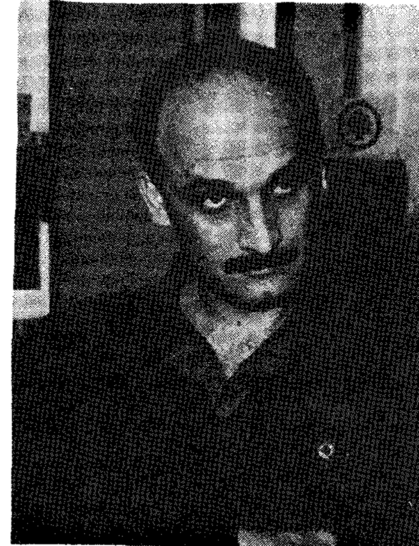
«الطليعة الاسلامية»

لبنان : تمرد سمير جعجع

اعتبر ايلي كرامة رئيس حزب الكتائب ان تحرك «الانتفاضة» قد بدأ وراء الكواليس بعد زيارة وفد الكتائب لدمشق وما نجم عن ذلك من اتفاقات. أما التوقيت فقد حددته صحيفة النهار اللبنانية بعد اجتماع بكفيا الذي عقد بين السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية السورية الذي اصطحب معه وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ونبيه بري رئيس حركة أمل و بين أمين الجميل رئيس جمهورية لبنان و بصحبته أركان قيادة حزب الكتائب. وقد أعلن رشيد كرامي رئيس الوزراء ان الدخان الابيض ارتفع من الاجتماع رمزا لنجاح المحادثات والوصول الى اتفاق. مما يعني أن لبنان أصبح على أعتاب مرحلة جديدة من الامن في ظل عودة الاجتماعات الى مجلس الوزراء التي تعطلت منذ أشهر بسبب مقاطعة الوزيرين بري وجنبلاط لها. ومن هنا لا يمكن ان تفسر الانتفاضة الا عملية تمرد على رئيس الجمهورية وحزب الكتائب بسبب اتفاق بكفيا.

أهداف الانتفاضة :

اعتبر قادة الانتفاضة ان القرار المسيحي اللبناني فقد استقلاليته وفرط بحقوق المسيحيين وراح يتدهور أو يتقهقر فرفعت شعارات نادت بانتخاب مجلس وطني مسيحي، و بالمحافظة على استقلالية القرار المسيحي و بعودة التأكيد على الهوية الاثنية والشخصية المتميزة لمسيحيي لبنان وبهذا تكون القوات اللبنانية وهي الجناح العسكري لحزب الكتائب و بقية الفصائل المارونية المقاتلة قد تحركت بقوة السلاح لتوقف مسيرة اتفاق بكفيا ولتفرض حقائق جديدة على الارض فاستولت على أغلب المواقع العسكرية في المناطق الشرقية وعدد من المؤسسات والاجهزة بما فيها «اذاعة صوت لبنان الكتائبية» وراحت تحشد القوى المسيحية خلفها معتبرة نفسها الطرف الممثل للرأي العام المسيحي وليس



رئيس الجمهورية أو القيادة السياسية لحزب الكتائب التي لم ينضم منها الى الانتفاضة غير المحامي كريم بقردوني. ولعل الاوصاف الاربعة التي وردت في بيان «الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي المسيحي» تأييدا للانتفاضة تكشف عن حقيقة الاهداف التي يراد تحقيقها الآن وهي : «اعتبار الانتفاضة»

(١) حركة تحرر الشعب المسيحي اللبناني في وجه مخاطر التذويب والتعريب والانهيار والتفكك.

(٢) حركة تحرر ديمقراطي.

(٣) حركة تنظيم مقاومة شاملة.

(٤) حركة تعبير عن الارادة القومية الشاملة للشعب المسيحي من خلال مؤسسة المجلس الوطني المسيحي (برلمان للمسيحيين).

يبدو أن حجم الانقسام داخل صفوف موارنة لبنان يميل الى مصلحة الانتفاضة خصوصا من جهة الاوساط الشعبية والقوات المسلحة أما الفعاليات والشخصيات السياسية فقد انحازت حتى الآن لرئيس الجمهورية كما عبرت عن نفسها في المؤتمر المسيحي الذي انعقد في القصر الجمهوري.

الموقف السوري :

بينما كانت سوريا قد تهيأت لقطف الثمار النهائية لحرب دخلتها منذ عشر سنوات على ارض لبنان، ووجدت بهذا التمرد الذي رأت فيه مؤامرة أميركية ـ اسرائيلية موجهة ضدها أولا وقبل كل شيء. فقد بدأ التقدم السوري على الارض اللبنانية مع اخراج م. ت. ف من شمالي لبنان ثم نجاح محادثات لوزان ثم تشكيل حكومة الاتحاد الوطني برئاسة رشيد كرامي ثم بالغاء اتفاق ١٧ أيار، وأخيرا مع بدء الانسحاب الاسرائيلي من جنوبي لبنان. وكان الوضع الداخلي قد أفشل كل محاولات الجيش اللبناني لاستعادة سيطرته على البلاد وانتشر سلسلة من التفجيرات الامنية، خصوصا، في الجبل و بيروت، كما عطلت اجتماعات مجلس الوزراء وارتفعت شعارات من الحلفاء المحليين لسورية، خصوصا، وليد جنبلاط تنادى باسقاط رئيس الجمهورية، و بعضها نادى بالاتحاد الفيدرالي أو الكونفدرالي مع سوريا منظمة حزب البعث (سورية) والحزب الشيوعي اللبناني والحزب القومي السوري. وقد نقل معلق النهار سركيس نعوم ان بعض المصادر المطلعة أخذت تردد ان انهاء الاضطراب الامني والتفجيرات وتعطيل اجتماعات مجلس الوزراء لا يتم الا باتفاق شامل مع سورية تتكفل فيه سورية في الدفاع عن لبنان والمحافظة على الامن فيه بينما يلتزم لبنان بموقف سياسي موحد معها. وقد اعتبر البعض ان زيارة وفد الكتائب لدمشق ثم اجتماع بكفيا وضعا الامور قريبا من هذا الاتفاق الشامل بعد ان تبين لقادة الموارنة ان لا خيار أمامهم غير الخيار السوري. فالخيار الاسرائيلي ذهبت به ريح المقاومة الاسلامية في جنوبي لبنان والخيار الاميركي طواه ريغان نفسه بعد الضربات التي تلقتها المارينز في بيروت، وانسحابها تاركة الذين راهنوا عليها لمصيرهم. ان وصول قيادة الكتائب

بزعامة أمين الجميل لهذا الخيار هو الذي وصفه قادة الانتفاضة بالسير على طريق التقهقر والتفريط وفقدان الاستقلالية والشخصية.

يؤكد المتحدثون عن بواطن السياسات في لبنان ان السوريين يريدون تثبيت وضعهم فيه من خلال اتفاق نهائي مع الموارنة ووجود قوات الردع كضمانة مادية لهذا الاتفاق من أجل تأمين وجود سوري لا يتعرض لتقلبات موازين القوى العربية مستقبلا. فلبنان يشكل البوابة التي تهب منها الريح حتى على «الامن القومي السوري»، في حالة عدم احكام القفل السوري عليها. ولهذا حظي الوضع في لبنان على أولوية السياسة السورية خلال العشر سنوات الماضية، وخصوصا، خلال الثلاث سنوات الاخيرة.

ومن هنا كان على سورية أن تبدأ بحشد قواتها المتواجدة على أرض لبنان وتعيد تنظيمها وتوضيعها استعدادا لعدم الوقوف مكتوفة الايدي حيال التحرك المشبوه في المناطق المسيحية.

الموقف الاميركي ــ الاسرائيلي :

أعلنت الولايات المتحدة الاميركية موقفا رسميا يتلخص بتأييد رئيس الجمهورية وعبرت عن تخوفها من نتائج ما يجري كما أعلن وزير الخارجية الاميركي بمناسبة أخرى أن «لا عمل لأميركا في لبنان». أما الصحافة الاسرائيلية فقد طالبت بعدم تورط اسرائيل مرة أخرى في الرمال اللبنانية المتحركة وأبرزت تصريحات لبعض قادة الانتفاضة يبرئون فيها أنفسهم من العمل لحساب اسرائيل و يعلنون عن نيتهم بسحب ممثل القوات اللبنانية من القدس. ولكن هذا الموقف لا تؤيده تحركات الجيش الاسرائيلي الواسعة في الجنوب وصولا إلى مناطق سبق وانسحب منها مما اعتبر إشارات على الدعم الاسرائيلي للمتمردين.

كما أن أغلبية قيادة الانتفاضة من المعروفين بولائهم لاسرائيل ومشاركتهم في مذابح صبرا وشاتيلا مثلا ايلي حبيقة وفادي افرام. أما من جهة اخرى فان الاعلان الاميركي بنفض اليد مما يجري يعبر من بعض النواحي عن تعاطف مع المتمردين لأنه يتضمن وضع القيادة الشرعية والمتمردين ضدها على قدم المساواة وهذا ما يعطي أرضية الاتهام السوفياتي والسوري والكثير من القوى المحلية اللبنانيين باعتبار الانتفاضة مؤامرة أميركية ــ اسرائيلية. ولكن التأييد الضمني والعملي دون الغطاء السياسي العلني والمباشر يظل نقطة ضعف تشير الى عزلة سياسية تعاني منها الانتفاضة. ولا ينقذها الا انقلاب رئيس الجمهورية ضد الموقف السوري والوطني والاسلامي اللبناني، لأن التأييد السياسي الاميركي، عندئذ، يصبح علنيا وقويا لرئاسة الجمهورية التي تسمي نفسها الشرعية.

الموقف الدولي :

يتفرد الموقف السوفياتي بوضع كامل ثقله السياسي الى جانب سورية في الهجوم على الانتفاضة والتحريض عليها بينما تميل بقية الدول الاوروبية الى التزام موقف معلن الى جانب رئيس الجمهورية أمين الجميل. أما الموقف

العربي فأغلبيته تميل الى ما هو قريب من الموقف الاوروبي بدعم رئيس الجمهورية عدا الموقف الليبي واليمني الجنوبي الذي يقف الى جانب سورية بقوة. ولكن يبقى السؤال الاساسي يدور حول الموقف المصري ان كان سيغير من سياسته حيال المشكل اللبناني بعد قمة بغداد الثلاثية وهو ان فعل سيكون باتجاه تحريض رئيس الجمهورية على التصلب في وجه المطالب السورية.

المواقف اللبنانية المحلية :

تحركت البطريركية المارونية بسرعة لرأب الصدع الذي تكشف عنه الموقف الماروني فعقدت في ظل البطريرك المعوشي شخصيا اجتماعات لمنع التدهور والاقتتال و وضع اسس لمفاوضات بقصد المصالحة والحل. وتشكلت لجنة ثلاثية من جوزيف الهاشم ممثلا لقيادة الكتائب ورئيس الجمهورية مقابله كريم بقرادوني ممثلا للقوات اللبنانية المنتفضة وميشال المر عن الفعاليات المسيحية المحايدة بما فيها الارثوذكسية. وقد راحت هذه اللجنة تغرق في خضم تقديم المقترحات للتوصل الى حل ونشأ تيار مسيحي مثله كميل شمعون وآخرون راح يلعب لعبة الحياد والتوفيق بين الطرفين المتصارعين او التقلب بينهما في محاولة للافادة من التنازع أو الخوف من نتائج انقسام يضعف الوضع المسيحي ككل. وقد أثار أمين الجميل رئيس الجمهورية نفسه مثل هذه المخاوف بالاشارة الى ان الانشقاق قد يؤدي الى «حرب أهلية و يستدرج التدخلات الخارجية».

أما القوى السياسية التي تمثل الاحزاب العلمانية المنضوية تحت راية «الجبهة الوطنية الديمقراطية» بزعامة وليد جنبلاط وعضوية الحزب الشيوعي اللبناني والحزب القومي السوري وفصائل أخرى فقد أدانت التمرد واعتبرته الرد الاسرائيلي على ما يجري في الجنوب وطالبت بحشد القوى والاستعداد للمواجهة. بل ان وليد جنبلاط هدد في احدى خطبه قبل التوجه الى موسكو ان لا مفر من «ضرب عملاء اسرائيل وأميركا والتخلص منهم».

القوى الاسلامية :

صدر بيان إدانة مشترك ضد الانتفاضة اثر اجتماع أعلى مرجعين اسلاميين رسميين (سني وشيعي) في لبنان وهما الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية والشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في لبنان (هو رئيسه الفعلي بسبب إبقاء الرئاسة للامام موسى الصدر الذي اختطف منذ سبع سنوات) وقد جاء في البيان ان «الانتفاضة إفراز خطير للظاهرة المتشنجة» في المناطق الشرقية (المارونية) لتصب «في مخطط العدو الاسرائيلي في عملية التفاف واضحة على كل الانجازات الاسلامية والوطنية». وقد دان في الوقت نفسه كل ظاهرة طائفية ومذهبية مماثلة.

وركز السيد محمد حسين فضل الله، وهو من أبرز التيارات المجاهدة الاسلامية في لبنان، على كلمة رئيس الجمهورية في مجلس الوزراء، التي

رحبت بها قيادة «الانتفاضة» واعتبرتها تسويفا رسميا وشرعيا لتحركها لأنه اعتبرها ردة فعل مفهومة لما جرى في الساحة الاسلامية من تحركات ورفع شعارات، فجاء في دحض السيد محمد حسين فضل الله لكلمة رئيس الجمهورية تذكيره ان هذه الحركة ليست جديدة، أشخاصها لا يتحدثون شيئا جديدا غير ما تحدث به قائدهم السابق بشير الجميل شقيق رئيس الجمهورية وفي حينه «لم يكن قبل ذلك من يدعو الى جمهورية اسلامية في لبنان. ولم يكن هناك من يمزق العلم اللبناني أو غيره. اقرأوا الصحف قبل عشر سنوات، وقبل ٣٠ سنة ولاحظوا ما هي الطروحات : كل لبنان للحفاظ على الوجود المسيحي ودور الآخرين هو ذلك».

وأعلن المهندس عبد الله بابتي المسؤول السياسي لـ «الجماعة الاسلامية» الاخوان المسلمين في لبنان ان التفجير في صيدا بدأته القوات اللبنانية المؤيدة للانتفاضة واعتبر المخطط الذي يعمل في المناطق المارونية يرمي الى اقامة دويلات طائفية يتم عبر مخطط تآمري تقوده أميركا وتنفذه اسرائيل وعملاؤها في القوات اللبنانية «ودعا القوى الاسلامية لتوحيد الصفوف وعمل جبهة مواجهة مع سوريا لاسقاط التقسيم الزاحف».

وانفرد الشيخ سعيد شعبان زعيم «حركة التوحيد الاسلامية» باعتبار رئيس الجمهورية وقيادة الكتائب متواطئين مع المتمردين عليهم وطالب بعدم السقوط في فخ مناصرة فريق رئيس الجمهورية الماروني على الفريق الآخر باعتبارهما من طينة واحدة، وتوجه الى رئيس الجمهورية داعيا اياه الى اعتناق الاسلام اذا أراد أن يكون خارج لعبة التآمر على المسلمين. واعتبر ان ما يجري اليوم في صيدا من انزال اسرائيل ليس الا لدعم الشرعية التي لم تعد تفكر الا بقتل بقية الطوائف على الطريقة اليهودية تماما وقال «إن تحدث أمين الجميل عن الشيخ سعيد وانه يريد أسلمته فليس معنى ذلك ان الجميل سيشرف الاسلام. بل الاسلام هو شرف لكل من أطاع الله وأسلم وجهه لله وليترك الجميل حليف سمير جعجع (قائد التمرد) هذه التمثيليات فهي لم تعد تنطلي حتى على أطفال السياسة».

وصدر بيان عن المكتب الاعلامي «لتجمع العلماء المسلمين» دعا فيه المسيحيين الى رفض المؤامرة الاسرائيلية الرامية الى تهجيرهم من صيدا وجوارها الى الشريط الحدودي مؤكدا «ان اسرائيل حالة طارئة في هذه المنطقة، وانها عاجزة كما اثبت الواقع عن حماية نفسها. فضلا عن ان المسيحيين بغنى عن حماية اسرائيل لهم طالما ظلوا بعيدين عن السير في ركابها، وأكد على أن «مهمة المسلمين هي تسديد الضربات لرأس الافعى وتهيئة النفس لمتابعة فلول اسرائيل حتى زوالها» وكان الشيخ ماهر حمود عضو تجمع العلماء المسلمين قد أعلن «أن العدو الاول للوجود المسيحي في صيدا وفي المناطق الشرقية هو «القوات اللبنانية» التي لم تكف عن تنفيذ أوامر اسرائيل حتى توقع المسيحيين في مصيبة عامة ليس أملها التهجير الى الشريط الحدودي.

ودعا السيد محمود فقيه المسؤول التنظيمي

لحركة أمل في الجنوب الى افشال المخطط والمحافظة على المسيحيين.

وأبرز الشيخ محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان ان حركة سمير جعجع وما جرى من اقتتال في صيدا وراءهما اسرائيل «لأنها تأكدت ان المسلمين وان المقاومة الاسلامية سيحققون انتصارا ساحقا عليها فلجأت لحلفائها لصنع الفتنة» وما ايلي حبيقة الرجل الثاني في التمرد الا «بطل مجازر صبرا وشاتيلا» **وما قيادة التمرد** الا «عملاء اسرائيل».

احتمالات الموقف :

التحرك الذي قاده سمير جعجع وأيدته فيه قيادة «القوات اللبنانية» احتكم الى السلاح منذ اللحظة الاولى وقرر فرض ارادته بالقوة العسكرية، واتخذ اجراءات عملية في تعزيز مواقعه وقواته المسلحة. ولكنه لم يتخل في الوقت نفسه عن التجاوب مع حركة الوساطات السياسية للتوصل الى حل سياسي داخل الجبهة المارونية أولا، بل أعلن ان تحركه غير موجه ضد سوريا، وحاول فتح الحوار معها باعتباره صاحب القرار الحقيقي في الساحة المارونية.

سوريا قامت بتبديل سريع لقواتها المتواجدة في لبنان وعززت القوات الجديدة بالاسلحة واعادت توضيعها في مواقع مواجهة مع قوات الانتفاضة.

نبيه بري أعلن ان سوريا في غير حاجة لطلب تدخلها فلها الحق ان تتدخل لأن ما يجري يهدد أمنها القومي كما يهدد أمن لبنان. أما سليمان فرنجية رئيس الجمهورية الأسبق وحليف سوريا فقد أعلن بعد لقائه بالرئيس السوري عن وقوفه على أهبة الاستعداد لضرب سمير جعجع. وبالمناسبة ثمة ثأر شخصي له عند سمير جعجع الذي سبق له وقاد القوات اللبنانية في الهجوم على مقر فرنجية في اهدن حيث قتل في الهجوم ابنه طوني فرنجية وزوجته وطفلته.

القوى الوطنية والاسلامية اللبنانية أعلنت جميعها التعبئة العامة لمواجهة عسكرية محتملة وان كان صائب سلام رئيس الوزراء الأسبق وعضو اللقاء الاسلامي قد دعا تحرك العقلاء قبل فوات الأوان.

أما رئيس الجمهورية الذي تحرك في ٢٣ آذار نحو دمشق لبحث الوضع مع الرئيس السوري فقد طلب كما سربت بعض الاوساط اللبنانية المسيحية مهلة شهر لتدبر وضع المنشقين* بطرق المفاوضات والحلول السلمية.

وبهذا يكون لبنان في مواجهة ثلاثة احتمالات الاولى : يرجح الكثيرون عدم حصول الصدام العسكري وتحول الوضع الراهن الى حالة مزمنة ولكن مثل هذا الاحتمال غير ممكن الا اذا قبل المتمردون بكل ما قبل به رئيس الجمهورية والقيادة السياسية لحزب الكتائب في اجتماع بكفيا. وعندئذ تكون سورية في غير حاجة الى الصدام العسكري بل ستفيد من الانقسام الجديد في الصف الماروني. وبهذا تحصر الانتفاضة في حدود الصراع المحلي على النفوذ دون المساس بالدور السوري كما وصل اليه اتفاق بكفيا. ولكن هذا الاحتمال

بعيد لأنه يتضمن استسلام المتمردين سياسيا للموقف مما يجرد تحركهم من الأهداف السياسية وهو لم يقم الا بسبب أهداف سياسية معارضة للتنازلات التي قدمت للسوريين من قبل رئيس الجمهورية وقيادة حزب الكتائب. ولهذا ان الوصول الى هذه النقطة لا يكون الا في حالة الشعور بعدم القدرة على المواجهة والمقاومة بسبب عزله سياسية كاملة و يأس من الصمود العسكري ولكن الاحتمال المقابل في هذا الصدد ان تجر الاطراف الكتائبية السياسية، بما فيها أمين الجميل، الى تقديم التنازلات السياسية لجماعة الانتفاضة. ومن المتوقع أن يقوى هذا الاحتمال اذا أرسلت مصر ضوءا أخضر لرئيس الجمهورية للتصلب في وجه السوريين.

الاحتمال الثاني: الصدام مع القوات السورية مدعومة بالقوات الحليفة الوطنية والاسلامية وهو الاحتمال الأقوى في حالة طلب رئيس الجمهورية من قوات الردع العربية بتولي مهمة تصفية التمرد وهو طلب لا يسهل صدوره عن رئيس الجمهورية الماروني خشية انحياز الموقف الشعبي الماروني بالكامل الى صف المتمردين في مواجهة الخطر العسكري السوري الذي سيفسر بانه تهديد للوجود المسيحي بأكمله ولهذا سيفضل التمييع ان لم تكن ثمة امكانية لاعادة وحدة الصف الماروني ولكن في المقابل لا تستطيع سوريا احتمال استمرار التمييع أكثر من بضعة أسابيع، خصوصا، مع خوفها من محاصرة عربية أخذت تتحرك ضدها من خلال قمة بغداد الثلاثية. كما يجب ضمن هذا الاحتمال ان يؤخذ محمل الجد تصريح السيد نبيه بري الذي قال ان سوريا في غير حاجة لطلب حتى تتدخل ضد مؤامرة تستهدف أمنها القومي وبهذا يكون رئيس الجمهورية قد وقع بين المطرقة والسندان لا محالة.

الاحتمال الثالث: اندلاع حرب أهلية تشنها القوى المحلية الوطنية والاسلامية مدعومة بالنيران السورية لمواجهة الانتفاضة وفرض التراجع عليها وهو الاحتمال الأقرب الى الوقوع وقد أخذت بوادره تتصاعد يوما بعد يوم وستكون جبهة ممتدة من الشمال الى الجنوب وتصبح كل المناطق المارونية التي تحت سيطرة القوات اللبنانية هدفا للنيران والاقتحامات. مما يجعل تلك المناطق تشهد معارك ودمارا لا مثيل لها منذ اندلاع الحرب الاهلية عام ١٩٧٥.

وبالنتيجة: ان لبنان مقدم على مرحلة اضطراب أمني وسياسي واقتصادي وعسكري لم يسبق أن شاهده منذ عشر سنوات بينما كان قد اقترب من لحظة بداية الاستقرار النسبي لو لم تقطع انتفاضة جعجع مسيرة اتفاق بكفيا.

عثمان نصرالله

المقاومة الاسلامية : المنطلقات والدوافع



السؤال اللبناني ... حديث الناس ينام معهم و يوقظهم مع كل النشرات الاخبارية.. علامات الاستفهام والدهشة تملأ البيوت ... الشوارع ... المدارس والمعاهد، قبل أكثر من ربع قرن ورغم صيحات القومية العربية المترددة من المحيط الى الخليج كتب بن جوريون في يومياته «إن نقطة الضعف في التحدي العربي هو لبنان.. إن نفوذ المسلمين يمكن إسقاطه بسهولة ثم تقوم هناك دولة مسيحية تنتهي حدودها عند الليطاني وتتحالف مع اسرائيل، واليوم وفيما الانهيار العربي يصل مداه يعلن أوري لوبراني منسق النشاطات الاسرائيلية في لبنان وسفير اسرائيل السابق في طهران الشاه: أن لبنان قد يتحول الى جمهورية اسلامية خلال خمس سنوات.

ليس سهلا وليس بالامكان أن نرصد هنا

وتفصيلا التغيرات التي قادت الى هذه القفزة المفاجئة في الفكر السياسي الاسرائيلي لأن أسئلة هامة أخرى تحتاج الى مزيد من التأمل أو محاولة الاجابة، هل كان عليهم أن يتلقوا الضربة من حيث لم يحتسبوا، هل عاد للصراع الحقيقي وجهه التاريخي بعد عشرات السنين من التمويه ؟ هل هو بداية الأفول والعلو وإفساد بني اسرائيل وهل هؤلاء الاستشهاديون «الانتحاريون !» هم طلائع «عباد الله» الذين جاسوا يوما، يوما «خلال الديار» يعودون اليوم «ليسؤوا وجوههم ..» هل كان على زعيم أكبر دولة عربية أن يذهب الى القدس بل الى آخر العالم في كامب ديفيد لتدشين سلاما مدنسا ... هل كان على قاهرة العروبة والاسلام ... قاهرة المعز أن تحتضن العلم الاسرائيلي فيما الاستشهاديون في جبشيت ومعركة والنبطية يحيلون قراهم الفقيرة الى جحيم حقيقي يحرق وجوه المحتلين فيهرولون على غير هدى ؟ وهل هي مجرد مصادفة أن يتحقق الحلم الفلسطيني «الثورة الشعبية» التي نظروا لها طويلا في نفس الوقت الذي «اقتنع !!» فيه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بأنه ليس أمامه الا الدخول في كامب ديفيد !!! هل هذه مجرد مفارقات أم أنها حركة التاريخ التي تقضي بأنه ليس على المنهار الا ان ينهار وعلى الزبد أن يذهب جفاءا قبل أن تنبثق الأرض عما ينفع الناس.

ولكن كيف حدث هذا ... ما هي خلفيات الحدث ؟.. هل يمكن أن يصبح لبنان جمهورية اسلامية وهل ما يحدث ظاهرة شيعية خاصة كما يريد الاعلام الغربي أن يقول أم انها ظاهرة إسلامية عامة .. هل هو حزب الله .. أم انها حركة أمل وهل هو المحامي الباريسي نبيه بري أم انه المجاهد الشيخ محمد حسين فضل الله الذي يقرر مصير الجنود الاسرائيليين بنفس السهولة التي يحرك بها حبات مسبحته ولماذا يغيب الدور العربي وأين يبدأ الدور الايراني وأين ينتهي□

رغم أن المسلمين في لبنان تتجاوز نسبة حضورهم ٦٥٪ من عدد السكان إلا أنهم تركوا منذ الأربعينات المنصب الأهم «رئاسة الجمهورية» للمسيحيين بشكل عام وللموارنة بشكل خاص في حين بقي لهم منصب رئيس الوزراء (للسنة) ورئيس مجلس النواب (للشيعة) والمنصبان في أقوى الروايات شرفيان مقارنة بالمنصب الاول أما مجلس النواب نفسه فيتم اقتسام مقاعده مناصفة.

والمسيحيون هناك موارنة ــ روم أرثوذوكس ــ كاثوليك ــ أرمن ــ انجيلوية ويمثل الموارنة القوة الرئيسية من هذه القوى (حوالي نصف مليون) وتتوزع هذه القوة على الكتائب (آل الجميل) الوطنيين الاحرار (كميل شمعون) جيش التحرير الزغرتاوي (سليمان فرنجية) والكتلة الوطنية (إدة) وحراس الأرز (سعيد عقل) وعلى الجانب الاسلامي فهناك السنة (٣/٤ مليون) والشيعة (أكثر من مليون) ويمكننا تقسيم الشارع الاسلامي السني الى ثلاثة توجهات أساسية :

١ ــ التوجه الاقطاعي الارستقراطي المتمثل في

القيادات التقليدية والتي حافظت على علاقات متوازنة مع الموارنة أصحاب النفوذ من أيام رياض الصلح (السني) وبشارة الخوري (الماروني) في الاربعينات وحتى الآن ومنهم عائلات كرامي ــ سلام ــ اليافي ــ الصلح .

٢ ــ القوى الشعبية ذات التوجه القومي أو اليساري وتتنازع سوريا وليبيا هذه الساحة حيث يرتبط المرابطون (ابراهيم قليلات) والتنظيم الناصري في صيدا (مصطفى سعد) تمويلها بليبيا في حين تدعم سوريا البعثيين وآخرين.

٣ ــ التوجه الاسلامي الملتزم والذي تمثله بشكل أساسي الجماعة الاسلامية (المفكر الاسلامي الاستاذ فتحي يكن) وحركة التوحيد ١٩٨٠ (الشيخ سعيد شعبان) اضافة الى تجمع العلماء وعدد من رجال الدين الملتزمين، وهذا التوجه الاخير هو الممثل الحقيقي للتسنن في حين يبقى انتساب التوجهين الاولين للسنة مجرد انتساب تاريخي فارغ من أي مضمون أيديولوجي اسلامي. وحتى اغتياله في مارس (آذار ١٩٧٦) كان الزعيم الدرزي كمال جنبلاط هو الشخصية الاكثر تأثيراً داخل الشارع الاسلامي !!! وذلك لسبب غياب القيادة الاسلامية الملتزمة عن الساحة وعدم فعالية الشخصيات التقليدية.

ورغم أن الشارع الاسلامي الشيعي يبدو ولأسباب تاريخية أكثر تماسكا إلا أننا كنا نلاحظ داخله نفس الخطوط الثلاثة السابقة في الشارع الاسلامي السني، مع بداية السبعينات بدأ نفوذ الامام موسى الصدر (القادم من ايران الى لبنان) في التزايد والتأثير على نفوذ التوجه الاقطاعي الارستقراطي الشيعي (آل الاسعد وحماده والخليل رؤساء مجلس النواب التقليديون). في منتصف السبعينات أنشأ الامام موسى الصدر (الأب الروحي للشيعة) حركة أمل وكانت الساحة اللبنانية تخلو تقريبا من ميليشيات مسلحة اذا استثنينا جماعة «فتيان علي» الذين كانوا يستلهمون أفكار الامام محمد باقر الصدر، عند تأسيس حركة أمل تم انتخاب حسين الحسيني رئيسا لها وهو شخصية ليبرالية وان كان ملتزما بمصالح الطائفة الشيعية وهذا ما يميزه عن القيادات القومية واليسارية في الشارع السني وفي مؤتمر لاحق تم انتخاب المحامي نبيه بري رئيساً للحركة (ولد في المهجر ــ درس الحقوق في باريس تزوج من أميركية .. طلقها منذ سنوات).

والآن وقبل الاستمرار في عرض سيناريو التطورات اللاحقة وبعد هذا العرض الموجز لما يهمنا ذكره من القوى المتواجدة على الساحة اللبنانية قبل سنوات لا بد من وقفة قصيرة مع حدث هام هز الوطن الاسلامي والعالم بأسره قبل سنوات وله علاقة مباشرة بالتطورات اللاحقة في لبنان.

في عام ١٩٧٩ انتصرت الثورة الاسلامية الايرانية وفي مكان لم يتوقعه الكثيرون فالوجود الغربي في ايران كان في أوجه. ورغم كل المحاولات الاميركية للحيلولة دون انتصار الثورة الا ان (الطلقة التي جاءت من القرن السابع

الميلادي الى القرن العشرين) كما وصف الصحفي محمد حسنين هيكل آية الله الخميني استقرت وبجدارة في القرن العشرين.. حاول الغرب ضرب الثورة. ثم حاولوا ضرب الدولة أو محاصرتها على الاقل حتى لا تمتد عدواها الى خارج ايران أي حاولوا إبطال مفعول الطلقة القادمة من صدر الاسلام لتبدد ظلمة هذا الليل الجاثم فوق الوطن الاسلامي وكانت وسائلهم غير الحصار والمقاطعة واثارة الاقليات والحرب كانت محاولة عزل ايران عن بقية مسلمي العالم عن بقية المليار مسلم والتي كانت عدوى الثورة كافية لتحركهم و بقوة لتدمير النفوذ الغربي في المنطقة ولأ بد وتحقيق استقلال حقيقي ونهضة حقيقية في ظل الاسلام.. إذن عزل ايران الخميني عن بقية المليار مسلم هو الحل وان لم تفلح حرب صدام ففتنة السنة والشيعة جاهزة وسدنتها جاهزون و بدأ مسلسل الاوراق الخبيثة تقذف الشارع السني بالسخام والاكاذيب و يصفع العقل السني ليل نهار بحملة شرسة لم يشهد تاريخنا لها مثيلا «هؤلاء شيعة.. كفار.. يحرفون القرآن و يرفضون السنة و يسبون الصحابة رضوان الله عليهم» ووصل الامر بجامعة محاصرة في وطن محتل ان تصدر عنها مذكرة تدعو لمحاربة الشيعة أحفاد المجوس !!!

وهكذا استطاعوا ولو جزئيا.. ولو مؤقتا التأثير على قطاع هام في الشارع السني ولكنهم بالطبع فشلوا تماما في التأثير على الشارع الشيعي خارج ايران وكان لبنان حيث يزيد المسلمون الشيعة على المليون نموذجا حيا لما يمكن أن تصنعه الثورة الاسلامية من تأثير على المسلمين وضد الغرب المستعمر.. لقد عادت الروح.. وانتقل المد الاسلامي الجهادي من طهران الى حدود فلسطين و بدأت في لبنان رحلة العودة الى الاسلام وفي الشارع الاسلامي عموما والشارع الشيعي على وجه الخصوص وأصبح لرجال الدين المناضلين كالامام محمد حسين فضل الله وراغب حرب وغيرهم دور كبير في قيادة الجماهير حتى حركة أمل لم تنجو من المد الاسلامي المتزايد الذي لم يجد صعوبة كبيرة في التغلغل داخل صفوفها والتأثير على شبابها الى حد بلورة وتمايز مجموعات اسلامية ثورية وملتزمة داخلها كأمل الاسلامية التي قادها حسين موسوي وهكذا أخذت الامور في النضوج و بدأ حزب الله في التشكل وهو ليس حزبا بالمعنى الاصطلاحي للحديث كما يتصور الآخرون خاصة من العرب إنه تجسيد للمصطلح القرآني «.. حزب الله..» الذي يشير الى سواد الامة الملتزمة، إن الامام محمد حسين فضل الله ليس زعيما سياسيا لتنظيم اسمه «حزب الله» كما أكد هو نفسه مرارا ولكنه اليوم الأب الروحي للمسلمين الشيعة في لبنان الذي يعني مجرد التزام أحدهم بالاسلام دخولاً تلقائيا الى ما يسمى «حزب الله» و يصبح بهذا جنديا ينتظر الامر بدون مواثيق مكتوبة ولا استمارات عضوية !!

* * *

في يونيو (حزيران) ١٩٨٢ بدأ الغزو الاسرائيلي للبنان مما عرف وقتها بحملة سلامة الجليل! أسفر الغزو في حينه عن مجموعة من

الحقائق الجديدة أهمها: تدمير البنية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ اخراج الثورة الفلسطينية من لبنان ـ دفع القيادة البرغماتية ـ من م. ت. ف الى مزيد من الارتماء في أحضان الحكام العرب والبحث عن الحلول السلمية ـ ظهور الانشقاق سواء داخل فتح أو المنظمة ككل وعلى جانب آخر كان من الحقائق الجديدة تزايد التسلط والهيمنة المارونية على لبنان وكان انتخاب بشير الجميل رئيسا للجمهورية هو الذروة. ما من شك ان الوضع كان يبدو وقتها كنكسة استراتيجية في المعركة ضد الاستعمار في المنطقة وكدنا نعترف بأن الهيمنة الاميركية على المنطقة أصبحت حاسمة وأقوى من أي وقت مضى ولكن الوضع و بالتدريج أصبح محتملاً لسبب واحد هو تفجير الثورة والمقاومة الاسلامية من شمال لبنان الى جنوبه والا فان كل شيء كان يبدو مظلما و يدعو للأسى والألم.

في الشمال (طرابلس) كان عالم الدين الازهري الشيخ سعيد شعبان يقود حركة التوحيد التي تأسست عام ١٩٨٠ من تحالف جند الله وحركة المقاومة الشعبية اضافة الى الشيخ نفسه وجماعته (كان الشيخ وحتى السبعينات على علاقة وطيدة بالاخوان المسلمين قبل أن يخرج و بشكل منظمته الجهادية). في بيروت كان الشيخ ماهر حمود والذي كان إمام جمعة صيدا قبل أن يهرب من محاولة القبض عليه في فبراير (شباط) ٨٣ والذي أصبح إمام الجمعة في مسجد جامعة بيروت العربية كان يقود «تجمع علماء المسلمين» من السنة والشيعة (الشيخ زهير كنج والشيخ علي الخازن «شيعة» الشيخ صلاح الدين أرقه دان والشيخ سالم اللبابيدي «سنة») و بدأ التجمع في تنظيم اللقاءات والاحتفالات والتظاهرات ودعم حركة المقاومة الاسلامية واصدار مجلة «الوحدة الاسلامية».

أشارت الاذاعة الاسرائيلية (نشرة ١١٫٣٠ صباح الثلاثاء ٨٥/٣/١٩) الى اشتباكات كانت عنيفة بين جماعة الشيخ حمود والكتائب في صيدا.

في البقاع كان أكثر من ٤٫٠٠٠ من حراس الثورة الايرانيين الذين وصلوا في صيف ١٩٨٢ وتم حجزهم وقتها في سوريا كانوا يشاركون المسلمين في بعلبك في تحويل المدينة الى جمهورية اسلامية كما كانت تسمي وكالات الانباء بعلبك وكما فعل سعيد شعبان في طرابلس. في صيدا كان رجال الدين المسلمين من السنة والشيعة يبعثون حركة المقاومة الاسلامية وعلى امتداد كل الجنوب المحروم كانت القرى المسلمة الفقيرة تعلن عن غضبها ضد المحتلين. في صور كان مقر الحاكمية الاسرائيلية يدمر وفي بيروت كان نسف مقر الوحدات العسكرية الصليبية والمتعددة الجنسيات نصرا تاريخيا لحركة الجهاد الاسلامي كما كان دخول القوات الاسلامية الى بيروت الغربية في فبراير ٨٤ بعد معارك طاحنة مع الجيش اللبناني والكتائب منعطفا هاما في الوضع اللبناني. وهكذا و بين دهشة كل المراقبين في العالم تحول لبنان حيث النفوذ

المـاروني ـــ الاميـركـي ـــ الاسـرائـيلي المتعاظم تحول الى قلعة اسلامية ترمي أعداءها بالحمم وتحيي في قلوب المسلمين ذكريات المواجهة بين الاسلام والصليبيين قبل أكثر من ثمانية قرون، إن الحضور الاسلامي الشعبي والمسلح يعيد اليوم تشكيل الدولة اللبنانية بعيدا عن الهيمنة المارونية.. لقد خرجت القوات الاستعمارية (الاميركية الاوروبية) مهرولة بعد أن تجرعت ذل الهزيمة وسقط اتفاق ١٧ أيار الاستسلامي الذي وقعه أمين الجميل مع اسرائيل وتحول الغزو الاسرائيلي الى أسوأ كارثة في تاريخ اسرائيل القصير الحديث على حد تعبير النيو يورك تايمز.

ولخص زئيف ستيف المراسل العسكري الشهير لصحيفة هآرتس نتائج الغزو أنها أضعفت الاسرائيليين والمسيحيين وجعلت من لبنان بلدا عربيا أكثر من أي وقت مضى، وأصبح على قادة اسرائيل أن يحددوا كل يوم موعدا لانهاء الانسحاب أسرع من الذي حددوه بالأمس، لقد أصبح الضمير الاسرائيلي مجللا بالعار في نفس الوقت الذي احتل الرعب أرواحهم..

أحد كاتبي افتتاحية صحيفة هآرتس ولديه ابن يحارب في لبنان كتب معلقا على الهجوم الاستشهادي بالقرب من المطلة «انك تبدأ سماع الهذيان بخصوص الجريمة الشنيعة والحرب ضد الارهاب وتتعجب: ترى ما الذي يتكلمون عنه. ان الشيعة يقاتلون من أجل أرضهم بالطريقة الوحيدة التي يعرفونها وحسب القواعد السلوكية السائدة هناك والشخص الذي لم يكن من الواجب أن يكون هناك ولم يكن من الواجب أن يتواجد هناك من البداية هو ابني».

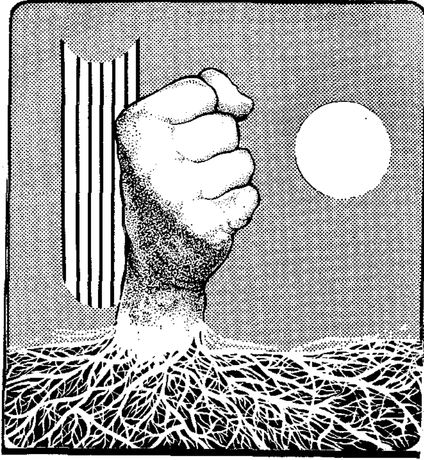
والآن أين ومتى ستقف هذه الحرب؟.. هذا الجهاد؟

واهمون أولئك الذين يظنون أنها ستقف عند حد لأنهم لا يفهمون بواعثها فمن الواضح ان تصعيد الجهاد المسلح ضد الاحتلال مستمر وان شعار طرد قوات العدو دون قيد أو شرط لا تنازل عنه.. ان بقاء جبهة الجنوب مفتوحة على مستوى طرد الاحتلال وعلى مستوى الجهاد بات أمراً واضحاً على لسان المقاومة الاسلامية.

إن ما يسمى بسياسة القبضة الحديدية أو سياسة العقاب الجماعي لن تثمر غير مزيد من الدم الذي سيروي شجرة الثورة والحرية والجهاد

عزالدين مجاهد

علامات على الطريق



الشيخ عبد العزيز عودة يتحدى سجانيه

أصدرت المحكمة الاسرائيلية في مدينة غزة في يوم الاربعاء الموافق ٣ ابريل الماضي الحكم بالسجن اربع سنوات على المجاهد الشيخ عبد العزيز عودة ــ سنة بالنفاذ وثلاث سنوات مع وقف التنفيذ ــ بتهمة التحريض ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلي وحث المسلمين في فلسطين على الصمود ومقاومة الوجود اليهودي في فلسطين والجهاد في سبيل الله، وفور صدور الحكم حذر القاضي الصهيوني الشيخ المجاهد بأن السنوات الثلاثة موقوفة التنفيذ سوف تكون نافذة حال قيام الشيخ بأي عمل تحريضي جديد، ولقد تجاهل الشيخ هذا التحذير قائلا: أنا ابن أمة مستضعفة وأرى أن سبيل النهوض هو الاسلام وأنا ملزم بكل ما يعيد لهذه الامة نهضتها ولذا فسأظل أفعل ما يوحيه لي القرآن والاسلام ولن أفعل ما توحيه الشياطين.

لقد أخرست هذه الاجابة السريعة القاضي الاسرائيلي بما تضمنته من رفض لمنطق التهديد والوعيد فالشيخ عبد العزيز عودة الذي تعرض في الماضي الى تهديدات بالقتل والتصفية الجسدية من أجهزة الاحتلال الصهيوني والذي تعرض أيضا الى محاولة اغتيال غادرة ليست ببعيدة عن أيدي الاسرائيليين قد أصبح رمزا من رموز الاسلام في فلسطين تتجلى فيه قوة العالم المسلم الرباني وتشكل نموذجا للاسلام المجاهد المتقدم بعد أن تلبست في بعض الاذهان صورة الاسلام المهادن، تلك الصورة التي كونتها بعض الممارسات الضعيفة والمرتبكة لبعض المسلمين من داخل الوطن المحتل.

إن عقوبة وقف التنفيذ هو اسلوب جديد باتت تمارسه السلطات الصهيونية من أجل إسكات المجاهدين عن الصدع بكلمة الاسلام والجهاد، وهكذا تلجأ هذه السلطات الى هذا الخيار فلا هي نريد أن تبقي الشيخ المجاهد في السجن أكثر من سنة لأنها تعرف الدور الرئيسي الذي قام فيه الشيخ في داخل السجون الاسرائيلية حيث أنه استطاع أن يغير كثيرا في التركيبة السياسية والفكرية للسجناء الفلسطينيين الامر الذي يشكل خطرا على الاوضاع الامنية في سجون الاحتلال، وفي نفس الوقت تريد أن تجعل من إقامة الشيخ خارج السجن غير ذي فعالية في وجود حكم بثلاث سنوات بالسجن اذا تصدى الشيخ لمهامه في الدعوة وحث المسلمين على الجهاد والصمود والمقاومة.

إن كل من يعرف المجاهد الشيخ عبد العزيز عودة يدرك و يعلم و يفهم انه منذ اليوم الاول الذي نفر فيه الشيخ عبد العزيز للدعوة والارشاد وحث المسلمين على الصمود والجهاد قد اتخذ فيه قراره بعدم التوقف عن قول كلمة الاسلام في كل ما يمس شئون المسلمين في فلسطين لا يثنيه عن ذلك رغب ولا رهب وهاديه الى ذلك

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ

إعتذار

الاخوة الاعزاء قراء الطليعة الاسلامية   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعتذر مجلة الطليعة الاسلامية عن عدم تمكنها من إصدار عدد إبريل وذلك لظروف فنية ومادية خارجة عن إرادة تحرير المجلة.

ولذا فالعدد الذي بين أيديكم هو عدد مزدوج «٢٧ ــ ٢٨» وقد قمنا بزيادة عدد صفحاته تعويضا عن عدم قدرتنا على اصدار العدد «٢٧» في وقته، كما اننا نعد الاخوة الاعزاء أننا سنحاول تخطي كل المصاعب من أجل الاستمرار والانتظام في إصدار «الطليعة الاسلامية» والله ولي التوفيق.

لبنان الراهن والمأمول

السيد هاني فحص

■ لبنان بلد جميل.. جماله من بارئه، واذا ماكان هذا الجمال آخذاً بالنفاد، فالله كفيل برده، كما رد يوسف على يعقوب و يعود الشعر الى الشعراء وتعود الأماسي والآصال... و يعود رذاذ الماء يطال مرمى الثلج ابان انكسار الموج على الشاطىء الموصول بالافق.

جميل وصعب وصعوبته هي التي تغتال جماله، جماله من بارئه وصعوبته منا، نحن الاقربين الأبعدين والأبعدين الأقربين... الأهل والاعداء. أولئك خطفوا وجهه، ألبسوه قناعاً، أقنعوه بأن القناع هو الوجه وان الوجه ماكان الا قناعاً.. ونحن قبلنا.. دخلنا تحت القناع. لم يكن ليتسع لنا، ولكننا حشرنا أنفسنا.. كان دورنا ان ننزع القناع ونمزقه، لان الوجه نحن ونحن الوجه، ولكننا لم نفعل حتى آذن البلد بانفجار كان لابد أن ينفجر حتى يميز الله الخبيث من الطيب.. ولم لا؟ و ينفصل الحب عن المدر.. و يذهب الزبد جفاء كما لابد.. لبنان بلد صعب.. تأتي صعوبته من كونه كياناً مصطنعاً بالاجتزاء والتلفيق، قبل تبلوره الذي يبقى عارضاً مؤقتاً بحكم الثوابت، وفي الفترة من ستينات القرن الميلادي الماضي الى نهاية الحرب الكونية الاولى، كان مشروعاً، أريد له من خلال الاستقلال الذاتي!!! أن يكون حقل اختبار لمشروع التجزئة الشاملة في بلاد الشام.

«وكانت حكومات بعض الدول الاوروبية تحرص رعايا الدولة العثمانية المسيحيين على الثورة وتمدهم بالاسلحة والذخائر والاموال لاجراء مذابح عامة بين رعايا الدولة المسلمين اصلا ورعاياها الذين اعتنقوا الاسلام لنشر الرهبة والذعر بين هؤلاء الاخيرين كي يرتدوا الى المسيحية. وكانت هذه الحكومات تبذل لهم وعوداً سخية وبراقة بتعويضهم مالياً وعمرانياً اذا فشلت أمثال هذه الثورات أو لم تسفر المذابح العامة عن تحقيق أهدافها المرتجاة».

ان اصطناعه باعتباره نقطة تقاطع لارادات متعددة ومتعاكسة ومتداخلة في آن، مختارة (الدول الاوروبية السبع والمسيحيون) أو مكرهة (الدولة العثمانية والمسلمون).. كل ذلك جعله بلداً صعباً.. لأن هذه الارادات، حتى الآن، لم يلغ طرف منها الطرف الآخر (بلحاظ أن هناك طرفين) ولا ألاطراف الفرعية داخل الطرف الواحد وضعت حداً لشركاتها أو تنافسها.. ولايبدو أن ذلك سوف يتم قريباً، مما يعني أن الصراع بين الارادات سوف يستمر وسوف يتأجج و يزداد تعقيداً مع كل تطور سلبي أو ايجابي يحدث في المنطقة ــ التي أعطتها الصحوة الاسلامية أبعاداً أوسع ــ (اغتصاب فلسطين مثلاً ووجود اسرائيل وعدوانها المستمر ــ المقاومة الفلسطينية في وجودها السابق وماتبقى من آثار هذا الوجود في مسار الصراع ــ الثورة الاسلامية في ايران وماتولد معها

وعلى يدها من نهضة اسلامية تسعى للتطابق مع الثورة (الاسلام) ثقافة وسياسة وسلوكاً وجهاداً على الخطين (اسرائيل وأسيادها وحلفائها)، وخروجاً على الاستقطاب في سياقيه السوفياتي والامريكي).

انه العصر النووي. الذي لايتعدى فيه الكيف على الكم ولايلغيه ولكنه يكافئه أثراً وفعالية أو يتجاوزه و يقل عنه مشقة وان زاد عنه كلفة... انه العصر النووي الكيفي الذي لايتعارض مع المعايير الكمية الديكارتيه أس التوجه الحضاري الغربي وروحه وسمته... لقد انتصرت بريطانيا على الارجنتين في حرب الفوكلاند.. وتكاد بعض الاقطار لسعة مساحتها تصبح كماً مهملاً... أو مجالاً حيوياً مؤجلاً لأحلام الرفاه الغربي... ولبنان الموقع والخصوصيات بحجم الرأس النووي — هنا ينطوي الكم في الكيف — واذا ماضاقت الخرائط والجسمات فقد يضيع لبنان ولكنه يختزن كميات من الاشعاع كبيرة ووفيرة لا تعتم أن يترامى مداها الى البعيد... هذا ليس شعراً ليس غزلاً، فلم يعد الوقت وقت حب الوطن، ومتى استقلال مواطن من حب وطنه؟ حتى الذين يذبحون أوطانهم يذبحونها بحب احياناً أو يدعمون ذلك أثناء مايفرزون سكاكينهم في موضع القبلة من عنق الوطن... ليس شعراً ففلسطين ليست أكبر مساحة من لبنان بكثير وهي لم بعد ذكرى، انها ماتزال ماثلة ولسوف تبق نلبضة، في القلوب ان لم يكن بين البدين. وهب دم واحباطات تآصرت وتناسلت وتكاثرت وسالت بيلامها أفئدتنا زآبلطحنا من المحيط الى الخليج أو من الماء الى الماء كما حلا لذلك الارمني ان يعبر عندما كانت نبرة الوحدة عالية، من منا يستريح أو يستقيل من وعيه وارادته ومكابراته لحظة في ظل وجدانه المرهق و يرى الى فلسطين سبيلاً؟ وهنا الخبثاء يستثمرون هذه الحالة من التعب للاجهاز على الأمل بالتحرير تمهيداً للاقلاع باتجاه آخر، باتجاه احباطات جديدة يتم معها تهريب قطعة اخرى، شظية آخرى، وجنوب لبنان هو المرشح الان والمدينة المنورة هي آخر الشوط ان لم ينقطع هذا الشوط.

عندما وضعت الفتوحات العثمانية حدا للتوسع البرتغالي في الشرق الاسلامي كان البرتغاليون يجاهرون بهدفهم النهائي (هدم الكعبة المشرفة ونبش قبر الرسول (ص) في المدينة) تلك رغبة اصيلة ماتزال قائمة، مضمرة تارة ومعلنة تارة أخرى.

لبنان بلد صعب فالتمازج بين المسيحية واليهودية أصبح على ارضه فعلا يومياً، عيانيا. ان هذا التمازج (أو الحلول المسيحي في اليهودية أو الانحلال) كان متوقعاً، كان بيناً في الاساس في طموح التوراة ولغة الانجيل، ولم يفاجيء الا من لم يكلفوا أنفسهم عناء التأني في قراءة التاريخ واستكشاف مساراته. لم يلتفتوا الى أن اليهودية قد أصبحت شأناً مسيحياً، لا من موقع استيعاب المسيحية لليهودية بل من موقع هيمنة اليهودية على المسيحية وتهويدها. لقد كان هذا التمازج (الالحاق) منذ حدث، منذ بطرس الاكبر الى التبرئة البابوية من دم المسيح والتي لم تكن فصلاً قضائياً بقدر ماكانت موقفاً وتوجهاً سياسياً، بل

كشفاً لتوجه كان قائماً من الاساس، كان هذا التمازج مصدر صعوبات جمة. فالمسيحية هي التي انكسرت وغاب عنها أو شطب منها ماتبقى من ملامح انسانية تائهة لا تقوم على مايضمنها و يوفر لها الاستمرار والديمومة. أدمجت المسيحية في اليهودية رؤية ونمطاً وطموحاً وفعلاً و وضعت بأمرتها بما فيها من دغل وعلو وغل.

وفي الستينات من هذا القرن، لم يكن صدفة، أن تنطلق من الندوة اللبنانية، على أرض لبنان، دعوة الى طباعة القرآن مع الانجيل والتوراة... شارك في الدعوة مسلمون متنصرون... ومنذ القديم كان الاسلام مستهدفاً لليهودية أختراقاً والحافاً، التقويض من الداخل و بالداخل.. طباعة القرآن مع الانجيل، مع التوراة، يعني الحاقه بالتوراة، على مافي القرآن من موانع واستحالات (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).. ان الانجيل المطبوع مع التوراة هو مسبوق بها.. تال لها وهي تمتد اليه وتجري فيه وتهيمن عليه وتحكم.

حسب السياق الحضاري الغربي بدا التمازج اليهودي المسيحي ايجابياً و بناء في الغرب (كيف نفسر زعامة كرايسكس للنمسا وحضور كيسنجر في امريكا ورئاسة لوران فابيوس في هذا المقطع للوزارة الفرنسية ومن قبله منديس فرانس.. ثم الا يمكننا العودة القهقري الى ماركس وتروتسكي وننزل لنستقريء بنى الأحزاب الشيوعية والاشتراكية والمحافظة التي حكمت الغرب منذ اكتوبر الى الآن؟) ان هذا التمازج — في الغرب — رغم مابدا فيه من ايجابية — بالمعيار الغربي المادي الجائر — لم يكن مشوباً وحسب بل مسكوناً ومرهوناً للروح العدوانية اليهودية والجشع اليهودي.. مما جعله عدوانياً خالصاً.

واذا كانت عدوانيته بالنسبة للآخر — المسلم خاصة والمستضعف عامة — جلية بينة، فان عدوانيته بالنسبة للداخل مغطاة بقشرة خفيفة لا تلبث ان تنكسر ليظهر ما تحتها، ان الارقام التي تتوارد عن مستوى المعيشة والدخل في دول الاستكبار هي ارقام خادعة، بالاضافة الى أنها أرقام لا تأخذ في حسابها ولايمكن لها أن تأخذ التوازن الاجتماعي والنفسي، وانها تتلافى المفرقة التي تكشفها الرؤية الميدانية (البطالة وأحياء البؤس وظاهرة التشرد الخ) لوترك للمجتمع الاسرائيلي (نسميه مجتمعاً تجوزاً وهو لايزيد عن تجمع قسري — تجميع — وحتى مايبدو للوهلة الاولى من أنه اختيار هو في الواقع خضوع لقمع مباشر أو غير مباشر فلو ترك لهذا (المجتمع) أن يعيش حياته الطبيعية لقفزت الى السطح من حياته علامات ومؤشرات الظلم والتفتت الاجتماعي الذي ينخره و يكاد يطيح به لولا أنه يبقى — الى حين — مستقطباً بالعداء للآخر، حتى أصبح هذا الاستقطاب بالنسبة اليه خياراً وجودياً، خيار حياة أو موت... وهو كذلك بالطبع... وسامح الله أحمد الشقيري الذي اعتذرعما نسب اليه من قول «برمي اليهود في البحر»..

لبنان بلد صعب. تأتي صعوبته من الاسلام أيضاً وربما أساساً... في اللحظة التي بدا فيها أن التجربة الميدانية على الاسلام قد نجحت.. قامت الكنيسة بكل أبهتها قبالة المسجد، وعلى مقربة منه تمارس ترفها المعماري — الغربي — أمام البساطة

والتواضع، وتمارس جاذبيتها الفنية الى حد استخدام بتهوفن قبل سنوات بعد التوسع في استخدام كنسيات باخ.. وذهب المسلمون الى الشاطىء، عرضوا أجسادهم السمراء للشمس طلباً للون (البرونزي) وأخذوا يستمتعون بأغاني ديمس روسوس وفرانك سيناترا دون أن يعني ذلك اتقانهم للغة الفرنسية اة تذوقهم للجملة الموسيقية الغربية... وأخذوا يحيون أعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية وعيد العذراء والصليب والقيامة... لاحباً بالمسيح عليه السلام بل التماساً لموقع حضاري!!! في هذه اللحظة، انفجر الوضع في لبنان. وأخذت المدافع المخزونة في الكنائس ــ كما هو معروف ــ تدك المساجد واستمسك المسجد بثوابته العقيدية والأخلاقية. استفاق على حجارته ومأموميه وأئمته.. واستفاقوا عليه واستمسكوا به... اتضح لليمين أن كل عملياته للتهجين والتدخين كانت على السطح، على الجليد...

واليسار الذي توسط الصراع أصبح واضحاً أنه دخيل وأنه عامل تمييع ليس الا. حاول أن يمزق عباءة الاسلام لينشر بيارقه ولما تبين متانة النسيج عاد ليتظلل بعباءة الاسلام و يشمها و يتوعدها... وهو الان يحاول تمزيقها من جديد... ولكنها ازدادت مكانة وألقاً.

عندما انتخب بشير الجميل لرئاسة الجمهورية تحت الحراب الاسرائيلية سارع المسلمون المرتدون للانضواء... وفي حين بدأ جازماً في عدوانيته الصليبية حد احراج المرتدين.. مضى.. جاء أمين بعده على عكس ماحصل مع الشيوعية... هنا ستالين سبق لينين، كلاهما كان عدوانياً وعنيفاً ولكن ستالين كان أحادي الجانب يمارس العنف المفضوح المباشر فقط اما لينين ــ أمين/ فهو ضعيف الصلة بأدوات العنف وليس خارجها.. كان لابد له أن يبدو بوجه مموه، يمارس عنفاً مستوراً.. ولكن أجهزة العنف لم تهله بل سبقت انتخابه.. وانطلقت الكنيسة من عقالها ومن تراتيلها ومن محبتها ومن هدوئها الكاذب القاتل.. وابتدأ الذبح والخطف والتصفية وكانت صبرا وشاتيلا «في المسجد احدى بناتي مربوطة اليدين والقدمين مذبوحة، الى جانبها طفلها الرضيع يشد صدر أمه.. هو الآخر طعنوه بالسكين، على بعد قدمين شاهدت زوجتي المسكينة.. كانت مذبوحة ايضاً، يدها اليمين كانت تمسك بذراع احدى بناتي، يبدو أنها دافعت عن ابنتها، و بالقرب منها كانت ترقد ابنتي الصغرى مضرجة بدمائها، تناثرت حولها اوراق ممزقة من القرآن الكريم.. وقد تبللت بالدم.. هؤلاء المساكين اعتقدوا ان المسجد آمن فالتجأوا اليه». شهادة عجوز ممن بقي في مخيم صبرا ــ فلسطين.

«كنا في المنزل عندما بدأ اطلاق الرصاص، خرجت ابحث عن أختي، فوجدتها في الطريق جثة هامدة وقد اخترق الرصاص ظهرها، عدوت نحوا المنزل لأحذر الجيران وصرخت فيهم أن يهربوا فقالوا لي: نحن لبنانيون ولن يصيبنا شيء، قضيت الليلة في المستشفى وعندما عدت في الصباح وجدتهم جميعاً جثثاً هامدة» فاطمة علي شمس الدين ــ لبنانية ــ مخيم شاتيلا.

«أمسك بي أحد المسلحين أبرزت له بطاقتي اللبنانية، فقادني الى بين قريب، كان هناك أربعة

مسلحين اغتصبوني جميعاً، ليتهم قتلوني كما قتلوا ابي وأمي وأشقائي.. لقد قتل المحرمون ٢٤ فرداً من عائلتي» لبنانية من مخيم شاتيلا لم تذكر اسمها.

وعندما سأل مراسل مجلة نيو يورك تايمس احد المسلحين عما يجري لدى سماعه الطلقات النارية داخل المخيم كان جوابه «اننا نذبحهم».

واعترف شارون بأن مجلس الوزراء الاسرائيلي وافق على اشتراك قوات الكتائب في الحرب بجانب القوات الاسرائيلية قبل ثلاثة أشهر في ١٥ حزيران ١٩٨٢ وأن مجلس الوزراء أكد القرار في الاجتماعات التالية كما اعترف شارون بأنه ناقش القرار مع موريس درايبر ــ المبعوث الامريكي ــ وأضاف شارون أنه في يوم ١٩٨٢/٩/١٥ اتفق هو ورفائيل ايتان رئيس الأركان الاسرائيلي على ادخال قوات الكتائب المخيمات لتنظيفها من ٢٠٠٠ مقاتل فلسطيني، وأن مجلس الوزراء الاسرائيلي صدق على القرار في اجتماعه الذي تم مساء ١٩٨٢/٩/١٦ أي عشية المذبحة.

واعترف أمير درروري ــ قائد القوات الاسرائيلية في لبنان بأن شارون وزير الدفاع اجتمع مع قادة قوات الكتائب صباح الاربعاء ١٩٨٢/٩/١٥ حيث تم الاتفاق على دخول الكتائب الى المخيمات... انتهى الشاهد وقد سبقته شواهد وتلته وسوف تتلوه شواهد.. «فالجماعات الاثنية... تزداد حيوية وتكتسب مزيداً من الصلابة التاريخية من خلال الصراع و يبدو أنها تزدهر من خلال الصراع»... «فتوليد أو خلق الصراع هو أكثر الطرق مباشرة لابراز الشخصية الثقافية للمرء لأن نقص الصراع ينذر بكارثة». نيلو جونسون / لقد مر معنا أن موريس درايبر المبعوث الامريكي قد أخذ علماً وأعطى رضاً بالمذبحة.. ود روري قال: انه في اجتماع أثناء المذبحة طلب الامريكيون منهم مغادرة المخيمات.. فقد انتهت العملية.

وعندما اتخذت الدبابات الاسرائيلية مواقعها على الطرق المؤدية الى المخيمات قبل المذبحة بيوم واحد أبرق شفيق الوزان رئيس وزراء لبنان وقتها الى ريغن محتجاً فرد عليه ريغن قائلاً: «ان اسرائيل ترى ان هذا التقدم المحدد ضروري للمحافظة على الامن بعد مقتل بشير الجميل»... «فقد خطط لاسرائيل ان تكون حد الموس القاطع لحساب المصالح البريطانية في الشرق الاوسط ولقد لعبت فعلاً هذا الدور لحساب الولايات المتحدة بدلاً من بريطانيا» نيلز جونسون ــ قسم الاجتماع والانتربولوجيا وعلم النفس ــ في الجامعة الامريكية في القاهرة ــ واذا ماكانت ذكرى الرسول (ص) والفتح والهزيمة الصليبية والوصول الاسلامي الى اسوار فيينا ماثلة في الأذهان ونقطة لقاء بين الكنيسة والكنيس.. فان الخميني وهذه الارادة الاسلامية المفتوحة على الفتح والدعوة الى الله... وتلك القابلية الغربية المترشحة والقائمة على أساس الأزمة الحضارية الفعلية والمدمرة... كل ذلك أحيا المخاوف وأحكم التحالف.. لم يعد الاسلام مجرد ذكرى تقض المضاجع أو مجرد مائز حضاري بعيد أو مستهدف بل أصبح مشروعاً يملك كل مقدرات النجاح، عملياً... ماذا يعني ذلك؟ عندما

نتحدث عن لبنان... عندما يتحدث الآخرون عن لبنان... عرباً ومسلمين وغربيين. يتحدث الجميع عن البلد الذي امتلى بسرعة وسعة وعمق للحداثة والتغريب ثقافة وسياسة وسلوكاً «سويسرا الشرق».. على ارضه ترعرعت أفكار التجزئة وأصبحت منظومة متكاملة.. وهو الذي تلقى الافكار القومية والأممية التي تشكلت على أرضه أحزاباً وذهبت عمقاً... وأوغل أهله في الاندفاع وراء بل امام شعارات المرحلة — منذ الحرب الاولى — وتجاوزاً في عصبيتهم للأفكار والشعارات مواطن انتاجها، هذا ان لم تكن اساساً قد انتجت على ارضه «كان الامير فخر الدين عربي النزعة وتجلت فيه هذه الفكرة بعد ان رجع الى بلاده من ايطاليا حيث قضى خمس سنين تقريباً يشاهد انبعاث الوعي القومي عند الأمم» محمد جميل بيهم — و«يمكن اعتبار فتنة ١٨٦٠ في سوريا ولبنان بمثابة نقطة الأنطلاق لبعث جديد بالنسبة للقضية العربية.. لاسيما ان بيروت قد اصبحت من بعد مركزاً لموفدي الدول الاجنبية» — بيهم أيضاً — ويروي جورج أنطونيوس في «يقظة العرب» أن أول مجهود عملي لتنظيم الحركة الوقية يرجع الى سنة ١٨٧٥ وذلك حينما ألف طلبة الكلية السورية الانجيلية فب بيروت (الجامعة الاميركية) اولى الجمعيات السورية..

لبنان هذا... سويسرا الشرق.. فجأة!!! خرج من جلده.. عاد الى لحمه.. الى الاسلام.. شاخصاً ساطعاً.. معنى ذلك أن ماأريد شطبه في لبنان تمهيداً لاستخدام النموذج اللبناني وتعميمه، عاد ليقوم.. عاد ليقول: انه ثابت وأصيل وأن المظاهر كانت خادعة وأن مابني عليها ليس سوى أوهام.

«برلتير» الباحث الصهيوني يرى «أن الايديولوجيات المتصارعة في المنطقة (اسرائيل وجميع الآخرين) ليست ايديولوجيات متناقضة ومنتهاها الى التصالح... فقط الخميني الاسلام — هو النقيض... وذلك ماأدركه بيغن — كما يقول برلتير وفعلاً قال بيغن تعليقاً على نجاح الثورة الاسلامية: لقد ابتدأ عصر الظلمات بالنسبة الى اسرائيل.. لبنان استيقظ... تبين أنه لم يكن في سبات كان في سنة فكيف بالأقطار الاخرى إذن؟ والاسلام فيها ليس استثناء ولم يكن مطواعاً.

جاء الجواب من خالد الاسلامبولي وجهيمان واشتد الأوار في الباكستان واشتعلت في المغرب وتونس وفي وفي ألخ وكان الشموخ في افغانستان والاعجاز في لبنان، من هنا عادت الارادات ذات الاصل الواحد والمنشأ الواحد لتلتقي جميعاً.. لبنان نموذج معبر لالتقاءهذه الارادات، ان مصدر أساسياً من مصادر الصعوبة في لبنان هو اختلاط الارادات بحيث يصعب التمييز بين الخطوط الوهمية والخطوط الحقيقية التي تميز بعضها عن البعض الآخر، كيف نميز بين الارادة السياسية والارادة الكنسية في لبنان؟ أخبار الفاتيكان تقول بأن البابا عاتب على الأباتي بولس نعمان رئيس الرهبانيات لانه تصرف بالكثير من أموال الوقف وقدمها تبرعاً للقوات اللبنانية... نقطع نحن محصول ذلك من نعمان ونشك في عتب البابا أو غضبه... كيف وهو لم يعتب ولم يعاتب شربل قسيس الرئيس السابق للرهبانيات يوم كان رئيس لميلشيا لم تقصر في المذابح على مدى سنوات من عمر الحرب.. كيف والبابا لم تصدر عنه ولا عن دوائره التابعة اشارة.. احتجاج على المؤتمر الذي عقد في جزين بعد الاحتلال الاسرائيلي برعاية مطران جزين وصيداالكاثوليكي والذي دعا فيه الى لقاء حضاري ثقافي يهودي مسيحي يحكم المنطقة ويحدد مصيرها.. وأكد بأنه اذا كانت الاديان الاخرى — يعني الاسلام — تحرم التعامل مع اسرائيل فانه ليس في المسيحية شيء من ذلك... كيف نميز بين الارادة الامريكية والارادة السوفيتية؟ ليس التميز مستحيلاً مطلقاً، قد يكون ممكناً، ولكن في أي مكان لايوجد فيه اسلام.. وفي لبنان خصوصاً.. منذ البدء كان السوفييت حريصين على علاقات ودية مع الكتائب وأبو أياد القائد الفلسطيني قال: بأن السوفيات أعلموهم أن هناك عملية اسرائيلية.. ولكنهم طمنوهم بأنها لن تتعدى «الزهراني» كانوا راضين وعام ١٩٤٨ وافقوا على مشروع التمدد الاسرائيلي الى الزهراني أيضاً.. ومعهم رضي حكام لبنان الموازنة كيف نميز بين الارادة السعودية وارادة اليمن الديمقراطي... (ليسمح لنا المساكين حكام اليمن الديموقراطي) أخذتهم مثلاً يسارياً لاني لااخاف منهم لانهم لايملكون من النفط مايسمح لهم بأن يشكلوا أجهزة ارهاب تخيف أمثالي.. كيف؟ هناك في لبنان من يحاولون ان يميزوا بين ارادة كميل شمعون وارادة الكتائب.. ويمتد التميز ربما — سراً — الى مابين شامير وبيريز.. شامير بيغن.. وبين ريغن وموندبل.. وهناك من حاولوا تبرئة يزيد من دم الحسين (ع) بالتميز بين ارادته وارادة ابن زياد.. وهناك من يعبد الشيطان و يقدم المبررات!!! لابد من تصنيف الارادات وفرزها بدقة وروية. ولابد من إزالة الالتباسات والتلبيسات حتى يصبح لبنان أقل صعوبة و يصبح الكتابة عنه أسهل.. أي لابد من الوضوح والصراحة.. واذا مابقيت الارادات غير متمايزة فسوف تبق الكتابة رجماً بالغيب لابد من اعادة لبنان نظرياً الى سياقه الوحدوي وتجاوز الاصطناع والتلفيق والتجزئة بلحاظ أنها عوارض — الى الوحدة بالحاظ أنها ثابت قائم على ثابت هو الاسلام لكي تصبح الكتابة أقل مشقة وأكثر قطعاً ووضوحاً ودلالة وقدرة على أن تشكل دليل عمل ومرشد فعل وحركة. لابد أن نكتب انفسنا حتى نكتب الآخرين.

كانت أزمتنا فيمن يعلق الجرس؟ كثيرون ممن علقوا الجرس علقوه ليجنبونا مطامع القط.. بل ليستفردوا بنا و يأكلونا دونه، كانوا تقدميين بما فيه الكفاية! وكثيرون ثارت نخوتهم فعلقوا الجرس ثم مالبثوا ان حاولوا حشو آذاننا قطناً حتى لانسمع حواء القط ولانراقب حركته.. كان القط قد غمز لهم بطرف عينه.. وفي لحظة غريزية فر القط المؤونة علينا جميعاً، قلب المنضدة، أصبح مواؤه العدائي يملأ علينا الأفاق و يسبقه و يعلوعلى صوت جرس الكنيسة حتى ميزة أعدائنا انهم معنا، لغة وخطاباً، كما هم معنا سياسة وصراعاً على حد السيف ونحن على حد الطين.. سبعة وأربعون عاماً مضت على تأسيس حزب الكتائب لم يغير حرفاً مما قاله فيما يخصنا كان بعض الاحيان

يتلطف ولكنه لايقول غير مايريد لايوصي بغيره.

وتغرينا اللطافة ونستوحي، فيلامس ضميرنا بعض الندم على سوء الظن (الذي كان ينبغي أن يكون يقيناً) ونلين.. طيناً نعود ونتشكل كما يريد المعمار.

بعد انتخاب أمين الجميل سئل احدنا هل ستتعاون حركتكم مع حزب الكتائب فقال: نعم، نعم وبدون تحفظ.. الآخرون يلحسون عقائديتهم وتحاليلهم و برامجهم السياسية بسرعة لانها ركيكة وخفيفة ومائعة... ونحن ندعي الاسلام وتحليلنا، في حال الوعي واليقظة والعزة والايمان... صائب فلماذا؟ ماالذي تبدل بهذه السرعة؟ حتى يقف مسؤول اسلامي و يقول ببساطة تدعو الى الحزن، بمناسبة انتخاب امين: اننا في هذه الايام النابضة بالأمل ننتظر قيام الدولة العادلة!!! و يقف مسؤول آخر يبشر بوحدة وطنية حقيقية! و بعودة الدولة بمؤسساتها كافة!.. كافة؟ الكبارهات من مؤسسات الدولة.. والجيش المخلوط بالقوات اللبنانية والمهيمن عليه من قبلها كان أولى المؤسسات العائدة فماذا أفعل؟ اضطهد ونكل بالمسلمين.. وأرسل الى دار الفتوى يطلب عرض خطب الجمعة على المخابرات سلفاً.. أين كان المؤشر يشير؟ بعد مقابلة عدد من كبار المسؤولين الاسلاميين لبيار الجميل وفادي افرام (المقابلة الزيارة) صفعنا بيار الجميل جميعاً عندما قال أمام كاميرا التلفزيون «في عهد الاستعمار التركي كان المسيحيون يبحثون عن ضمانات لحمايتهم أما الان (في عهد التوحد المسيحي اليهودي) فعلى الآخرين أن يبحثوا عن هذه الضمانات».. وكان الاتفاق اللبناني الاسرائيلي المذل.. الذي سالت دماء (محمد نجدة)* احتجاجاً عليه فكان شهيداً جديراً وفاتحة خيرة وايذاناً برفض اسلامي لغير ذات الشوكة بعدما سقط الاتفاق لابد أن نسجل لدم محمد نجدة فضل الريادة.. ونسجل على البعض.. هدوءهم المفرط إبان ذلك المتحول الغني في فترة التوجه نحو الاذعان للاعداء وارادة الاعداء.. ونسجل على البعض الآخر صمتاً من شأنه أن ينسب اليه مالا يحمد من قول.. ونذكر أن بعضاً اجترأ حتى حاول سلب محمد نجدة مجد شهادته واعتبره ضحية فوضى.. فوضى.. فوضى..!!؟

نذكر ونسجل.. وننسى.. تلك كانت غفلات وغفوات وكبوات أمام الحراب وفي جو من الخوف والبأس يعذر العادي من الناس اذا أخذ بها ولا يعذر الرائد الذي لايكذب أهله ولايتخلف عنهم بل يتقدمهم.. واذا ماتقدموه فبتأثير منه وبما يحمل من فكر وعلم وقيم ومسؤولية.. نعذر وننسى، لأننا نريد ان تبحر سفينتنا ولانفترض العصمة في الربان ولا في البحارة.. وليس لنا خيار آخر.. وراهنا على غفلاتهم العارضة.. أهل وأكفاء و يبقون على هدى وتسديد من الله.

ماالذي نريده؟ يعني في أي موقع وأي تجاه تضعنا العقيدة والمسؤولية ومعطيات المرحلة؟ انها تضعنا أمام خيار الغلبة.. أن نكون الغالبين.

موضوعياً.. نحن الأكثر ونتكاثر رغم الشهداء.. وهم أقل و يتناقصون رغم الرفاه..

وذاتياً الآخرون هم غرب ثقافة وقيماً ومنهج حياة وسلوكاً واسرائيل عدو وقد شاركوها في دمنا وفي تراب الوطن وكشفوا عن حقد يضعهم في مصافها والى جانبها ونحن ثقافتنا مستقلة وشاملة ومعادية للاعداء وأعوان الاعداء قتلنا السادات، قتله خالد باسمنا جميعاً.. كما قتلنا كليبر وشارو و بطرس غالي والخ.. والقتل في شرعنا قصاص، لايتم الا بعد ان تكتمل موازينه الشرعية العادلة ومن هنا في القصاص حياة.. مصر منذ ذهب السادات الى مصيره بدأت تعود الى الحياة وتعود اليها الحياة.. ومابعد السادات مزحة خفيفة في حاضر مصر ولن يستطيع دخول تاريخها... انه ينضب بالتدريج الى أن يذوي و يسقط وتعلو مصر، يصاعد الالق من وجهها وعينيها باتجاه السماء على ايقاع عريض مجروح ومسكون بفرح محزون من صوت محمد رفعت وهو يتلو على شفتي فجر القاهرة المحروسة «فهل الكافرين آمهلهم رو يداً» ويختم.. و يتلوه مصطفى اسماعيل بالأذان ومع نبراته يطل الوجه الاسمر.. وجه بلال الحبشي وقد توارت من قسماته بقايا التعب والعناء.

ونحن لسنا حاقدين.. لايعرف الحقد الينا طريقاً، ممنوع بالاسلام، كيف ونحن نريد الاسلام أن يعم و ينتشر و يعدل؟ نحن نحمل لهم مشروع خلاص نقاتلهم عليه فان غلبنا توقف القتال و بدأ العدل.. وان ثابوا الى رشدهم وربهم وأتوا الينا طوعاً ادخلناهم في سياقنا الحضاري وربما أتحنا لهم اذا ماكانوا أهلاً أن يسبقونا.

هم يبتزون محيطهم.. يسمون الأهل محيطاً، و ينتسبون الى عائلة الغدر الاستكبارية العالمية، ونحن نرى أهلنا يمتدون على أربع جهات الأرض ومطارحها نوادهم و نبيت ونصبح على همومهم والا ماعدنا مسلمين.. و يتسع الالتزام ليتعدى الاطار العقيدي الواحد (ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً فانهم صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) وفي النهاية فان هذه المنطقة التي نعيش فيها نحن سمتها واسمها وتاريخها ومستقبلها.. وهم استثناء فاما أن ينضووا في الكل او يستفيدوا من المسيحية طلاوتها وعذوبتها وعندئذ نلتقي هذه الامور كلها تجعل من تطلبنا وسعينا الى الغلبة أمراً مشروعاً بل ومفروضاً وكل تفريط به هو استقالة من مهمة دينية وحضارية لاعذر لأحد فيها.

واذا كان هناك من هو على استعداد لنسيان مافعل بالمسلمين في التاريخ القديم والحديث تحت ظل الصليبيين فلا يمكن نسيان عشرات الملايين التي ابيدت في امريكا تحت راية الكنيسة الكاثوليكية.

اما قبل الاسلام يقول الدكتور اسماعيل شلش (المستقبل العربي العدد ٦٦ صفحة ٣٤): أما الروم فكانت سياستهم تقوم على استغلال الاقطار التي خضعت لسيطرتهم. واذا كانت قد تفاوتت أراء بعض الاباطرة عن أراء البعض الآخر فان هذا التفاوت لم يكن في مبدأ الاستغلال وكانت الحكمة تملي على بعضهم الا يكلفوا البلاد فوق طاقتها لاشفقة بالبلاد واهلها بل شفقة بانفسهم كي لايجف معين البلاد.

وفي المقابل أرسل نصارى حمص الى قائد جيش الفتح الاسلامي رسالة قالوا فيها: «أنتم أحب الينا من الروم وان كانوا على ديننا لانكم

ارئف بنا وارحم لنا واحفظ لارزاقنا».. الخ..
وقد قال رسول الله (ص): «من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني كنت خصمه يوم القيامة» هذا هو معنى أدخال الاخرين في ذمة الاسلام، وليس معناه جعل الذمي مواطناً من الدرجة الثانية او العاشرة. ان هذه الذمية التدميرية قد مورست مسيحياً ولم تمارس اسلامياً واذا حصل فانه يكون نتيجة انحراف الحاكم عن الاسلام وجوره و يكون الجور قد طال الجميع مسلمين وذميين.

أما كيف نبلور الغلبة سياسياً.. فنحن لسنا مستعجلين.. لانحلم أحلاماً صعبة لتتحول من بعد الى كوابيس وقال رسولنا (ص) للمستعجلين «ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه بريق، فان المنبت لاأرضاً قطع ولاظهراً أبقى).

والجمهورية الاسلامية العتيدة هي جمهورية يرفرف علمها على سائر أقطار المنطقة.. لايكون لبنان أولها.. ليس من الضروري ان يكون الأخر.. لايكون الاول فقط.. الجمهورية الاسلامية يكون لبنان ولاية أو اثنتين من ولاياتها.. ننتظرها ونعمل لها ونعد انفسنا للاندماج بها عندما تتحقق.. ومن هنا والى ان تتحقق نبذل وسعنا في الاعداد لها فكراً ووعياً ودماً.. مجدنا أن نحول لبنان الذي اريد له أن يكون ساحة إعدام للوحدة الاسلامية الى منطلق لاستعادة الوحدة أفكاراً وأفعالاً.

على أن هذا الطرح وهذا التوجه يستدعي تصلبياً وتمكيناً حتى لايعود المفرقون في واقعيتهم الى حد الخروج عن الواقع والممكن والمشروع، لينقبوا في الجدران أو تحت القواعد و يدلفوا براهنتهم على الدولة وعلى النظام (البرلماني الحر السيد المستقل) هؤلاء هم اهل الغفوات الذين نريدهم يقظين دائماً لأننا بحاجة اليهم ولن نسير بدونهم.. و يقظتهم لاتأتي منهم وحسب انها تأتي منا بالأساس من يقظتنا وصلابتنا ووحدتنا وطموحنا الدائم الى الوحدة في ظل التوحيد.

واذا كان التقسيم خطراً قائماً باستمرار.. وهو ضد أحلامنا ومطامحنا وتوجهاتنا وعلى حسابنا يكون.. وحتى لانندفع باتجاهه فاننا لابد ان نتبع مع الدولة ومع النظام — حتى اشعاراً آخر — سياسة اللاسلم واللاحرب» التي تعني الحرب الدورية وتعني مراكمة المكتسبات بدون تنازلات وفي كل الحالات لابد من أن نمضي قدماً في توفير وتعزيز الشروط الداخلية وهذا هو الاهم. ان في لبنان حالة اسلامية متقدمة وواعدة.

ماأسفرت عنه الحالة الاسلامية من تقدم وانجاز حتى الان وماسوف تسفر عنه مشترك.. ليس حصصاً.. ثم حتى اذا سادت الحالة الاسلامية وكان هناك امتيازات للشيعة على السنة أو للسنة على الشيعة فانها تبقى أقل من امتيازات الكفار على الشيعة والسنة معاً.. وأقل مضضاً معها في مقابل الوحدة التي هي خير مطلق لابد للمؤمنين ان يرضوا وأن يفضوا.. ويحافظوا على الوحدة، لانها في النهاية هي ضمانة العدل والمساواة. قبل الاحتلال كان المفتي خالد قد استبدل بداره في الطريق الجديدة — الوسط الشعبي الاسلامي — داراً في عرمون.. على حاشية بيروت في الوسط الاسلامي في رأس النبع الى عرمون.. تجاوراً وكان ذلك خيراً ولكن اسرائيل اخرجتهما معاً..

أعادتها معاً الى المنطقة الغربية من بيروت.. وكانا كلما ظهرا معاً تنفس المسلمون هواءهم بثقة وطمأنينة.. لقد اتسعت طموحات المسلمين عندما رأوا الشيخ شمس الدين والمفتي الشيخ حسن خالد يلتقيان معاً ليقررا وجوه صرف أموال الزكاة.. هل هي التفاتات ولمحات؟ أم أن الرجلين وأمثالهم يتحركان من شعور و يقين بأن الاسلام يلزمها وأن مصلحة المسلمين تدعوهما فيستجيبان؟ تلك هي الضمانة.. ولايسعنا الا الميل الى اعتقادها.

ماأردته هو التشديد على المزيد من التوثيق من جهة والفرز من جهة «امتازوا أيها القوم». لابد من فصل الارادة الاسلامية عن غيرها حتى مايشابهها أو يشاكلها أو يغازلها ثم لابد من فرز الارادات الاخرى وتصنيفها، ففي التعميم مهلكة، وهناك ارادات تعاكسنا تكويناً وتعاكس الاعداء موضوعياً — حتى لو تصالحوا معها ظاهراً — حتى اشعار آخر لابد من الاستفادة، أوحتى لانقع في الالتباس لابد من تأجيل بعض المعارك وعندما ينتصر المسلمون في لبنان لن يكون بامكان أحد أن يسلبهم انتصارهم أو أن ينزع الصفة الاسلامية عن هذا الانتصار يذهب الجميع جفاء و يبقى الاسلام، يمكث في هذه الارض لأنه لحمتها وسداها. ولكن أليس من معايير وضوابط لهذا التوجه؟ بلى، معيارنا هو المواجهة مع (الصهيونية أو الصليبية الصهيونية لافرق) قد نتسامح، قليلاً و بشكل مؤقت مع من يغلب طبقاً لقناعاته النظرية (القومية أو الوطنية) المواجهة مع الصهيونية على المواجهة مع الصليبية و يفكك في هذا المنحى.. أما قبول من يفكك في منحى آخر.. لايطلق رصاصه على العدو اليهودي.. و ينكشف يوماً بعد يوم أنه عمق الاستراتيجي و يقاتل الكتائب... أما هذا فلا.. ولن ندفع الحب الى طاحون الصهيونية في النهاية.

وفي النهاية لابد من الحذر لأن الطمأنينة المفرطة هي مصدر الخطر.. نطمئن الى أصالة هذا الدين عمقه في ارضنا وأمتنا.. وسلام الى شبابنا (أبناء ال ١٤ وال ١٥ وال ١٦ سنة) الذي تحدث عنهم العميل أنطوان لحد.. والذي لولا سواعدهم السمراء واستعدادهم للشهادة وايمانهم بالغيب و يقينهم بالنصر.. لما أتيح للواحد منا أن يهتدي الطريق الى مفترق اليأس عن الامل ولأصبح هباءة تتقاذفها المقادير ذات اليمين وذات الشمال.. سلام عليكم وعلى شيخكم راغب حرب.. سلام عليهم وعلى شيخ الأمة ورائدها الخميني.

• سقط برصاص الجيش اللبناني في مظاهرة «بئر العبر» في ضاحية بيروت الجنوبية احتجاجاً على اتفاق ١٧ أيار.

جذور الثورة في الحديث النبوي

ان وظيفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في المجتمع البشري تتمثل في تغيير أوضاعه تغييراً شاملا، في العقائد والسلوك الاخلاقي والاجتماعي والسياسي، وخاصة رسالة خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك فان الاسلام ثورة على الاوضاع الجاهلية في مفاهيم العقيدة وتصورات الكون والانسان والحياة، وليس مجرد وعظ اخلاقي فردي، وفكرة الجهاد في القرآن وفي السنة تبين لنا مدى شمولية رسالة الاسلام ودعوته العالمية. واذا رجعنا الى السنة النبوية المطهرة فاننا نجد في سيرة الرسول وفي اقواله مايضيء لنا الطريق في مسألة الثورة، اذا فهمناها على أنها تغيير شامل لاحوال المجتمع الى ماهو أفضل، واستراتيجية تضمن هذا التغيير، وتكفل له الاستمرا والثبات على المبدأ الذي بني عليه دون انحراف.

وليس الامر في الثورة مجرد عنف أو مجرد تفجير الطاقات الاجتماعية، انما الامر الهام هو تحديد غايات الثورة وتحديد الوسائل والاستراتيجية التي تبعدها عن الانحراف أو تبعد عنها الانهيار.

اذ من اهم عناصر الثورة الطاقة الروحية لدى الجماهير التي تكونها الدعوة الواعية، ثم العنصر الفني الذي يقوم بتفجير هذه الطاقة لتحقق الهدف المحدد. ومن شروط الثورة الاساسية وضع جهاز تحليلي نقدي يضمن استمرارها وحفظها من الانحراف، وهنا يأتي العنصر الاخلاقي الرفيع، والعنصر التقني الدقيق الذكي الكفء وهو القيادة لان الجمهور يمتلك القوة النفسية الروحية، ولكن القيادة تمتلك العنصر التقني، عنصر التسيير والتوجيه، ولقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا العنصر الذي غفل عنه المفكرون الاسلاميون وقادة الثورات التي وقعت في هذا العصر في العالم الاسلامي وهو الرقابة الذاتية أو النقد الذاتي الفردي والاجتماعي، و بين لنا محمد صلى الله عليه وسلم ان رسالة الانبياء في التاريخ يحدث لها أن يحرفها محرفون عن غاياتها فلا بد من مقاومتهم لتفادي هذا التحريف فقال: «مامن نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، و يقتدون بأمره، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، و يفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل».

ومن المفاهيم القرآنية ومفاهيم السنة المطهرة التي تؤدي هذا المعنى مفهوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يشمل النقد الذاتي والرقابة الاجتماعية لتلافي السلبيات، ومايطرأ من اسباب الضعف والانحراف السياسي والاخلاقي والاجتماعي، الذي يؤدي الى توقف الثورةباعتبارها تغييراً مستمراً لتجديد الحياة

الاجتماعية والثقافية.

فما اخرجه مسلم والبخاري قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة: مروان فقام اليه رجال فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال قد ترك ماهنالك، فقال ابو سعيد: أما هذا فقد قضى ماعليه سمعت رسول الله يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان».

ان الثورة تتلخص في أنها تغيير المنكرات والمظالم والا نحرافات تغييراً مستمراً، وأنها من جانب آخر أمر بالمعروف، وهو الجانب الايجابي، فهي هدم و بناء، هدم الفساد والظلم، و بناء العدل والخير، وهو مفهوم الامر بالمعروف، ومعنى هذا ان تهيئة الناحية الايجابية سابق للناحية السلبية فالتفكير في وضع الامور بعد تفجير ثورة ينبغي ان يسبق تفجيرها، وذلك هو عنصر البناء وعنصر البديل، وان لم يؤخذ بعين الاعتبار سهل انحراف الثورة ووجود الثورة المضادة، وسادت الفوضى الفكرية والبلبلة في الاعمال.

السياسية والاجتماعية ونبه الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم من جهة اخرى الى ضرورة وجود جماعة مؤمنة قائمة بأمر الله في كل الظروف، وعلى مر الزمن، في قوله: «لا تزال طائفة من امتي قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» وقد فسر لنا حديث آخر وظيفة هذه الطائفة القائمة بأمر الله وهي يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأو يل الجاهلين (٢) وشرح البخاري هذه الطائفة بأنها جماعة أهل العلم، أما النووي فجعل معنى ذلك أوسع فقال: يحتمل ان هذه الطائفة مفرقة بين انواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولايلزم ان يكونوا مجتمعين، بل يكونون متفرقين في أقطار الارض (٣).

وهذا أمر واجب على الامة افراداً وجماعات والمسؤولية الكبرى تقع على عاتق علماء المسلمين، وأهل الرأي والحكمة فيهم.

ان لعنة الله وطرد، أمة من الامم من أن تؤدي دورها في التاريخ أمر واقع اذا تخلت عن هذا المبدأ النقدي للانحراف السياسي والاجتماعي والاخلاقي والاقتصادي في كل تغيير لاحوال المجتمع وفي كل ثورة.. والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه، فتدعون فلا يستجب لكم (١) وهذا عقاب الله الامم في التاريخ، وقد بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: «لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون» (٢).

ونبه القرآن المؤمنين الى ضرورة الحذر والى الثبات، وعدم الانحراف والتولى قال الله تعالى: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا، فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين (٣).

فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر مفهوم لايقتصر على مجرد الدعوة بل يشمل العمل السياسي، وان المسلمين اذ مكن الله لهم في الارض، وكانت لهم سلطة فيجب عليهم أن

يدافعوا عن هذه القوة السياسية الاسلامية، على اساس معايير الشرع الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور (٤).

فحددت هذه الآية الوظيفة الاساسية للسلطة الاسلامية في مجال السلوك الفردي والاجتماعي والسياسي (٥) وذهب أبو بكر بن العربي الى ان: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أصل الدين وخلافة المسلمين (٦).

فهو مسؤولية الحكومة والشعب معاً، فالشعب يراقب حكامه والحكام يراقبون الشعب وذهب جماعة من اهل السنة وجميع المعتزلة والخوارج والزيدية الى ان العنف واستعمال القوة واجب في النهي عن المنكر اذا لم تنفع وسائل أخرى غير ذلك (١).

ومن أهم الاراء في ذلك رأى الامام الجصاص قال: لم يدفع أحد من علماء الامة وفقهائها سلفهم وخلفهم وجوب ذلك، الا قوم من الحشو وجهال اصحاب الحديث، فانهم انكروا قتال الفئة الباغية، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسلاح، وسمو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة اذا احتيج فيه الى حمل السلاح، وقتال الفئة الباغية منع ماقد سمعوا فيه من قول الله تعالى: «فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله» ومايقتضيه اللفظ من وجوب قتالها بالسيف، وغيره وزعموا مع ذلك ان السلطان لاينكر عليه الظلم والجور، وقتل النفس التي حرم الله، وانما ينكر على غير السلطان بالقول أو باليد بغير سلاح، فصاروا شراً على الامة من اعدائها المخالفين لها لانهم اقعدوا الناس عن قتال الفئة الباغية وعن الانكار على السلطان الظلم والجور حتى ادى ذلك الى تغلب الفجار، بل المجوس واعداء الاسلام، حتى ذهبت الثغور، وشاع الظلم، وخربت البلاد، وذهب الدين والدنيا، وظهرت الزندقة والغلو، ومذاهب الوثنية والخرمية والمزدكية، والذي جلب ذلك كله عليهم ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والانكار على السلطان الجائر (٢).

ووقف ابن حزم وامام الحرمين الجويني هذا الموقف ايضاً قال امام الحرمين: «اذا جار والي الوقت، وظهر ظلمه وغشمه فلم ينزجر حين زجر عن صنيعه بالقول، فلا هل الحل والعقد التواطؤ على خلعه، ولو بشهر الاسلحة ونصب الحروب (٣).

وقال في كتابه الغياثي: «الاسلام هو الاصل والعصام، فلو فرض انسلال الامام عن الدين، لم يخف انخلاعه، وارتفاع منصبه وانقطاعه، فلو جدد اسلاماً لم يعد اماماً الا بعد ان يجدد اختياره» (١).

لم يضع المفكرون في العالم الاسلامي والثائرون والمجاهدون جهازاً كافياً للتحليل والنقد، على ضوء القرين والسنة كما يقول مالك بن نبي، ماعدا ماتم في مجال الدفاع عن الاسلام، واثبات قيمته وكذلك فان السياسيين ام يعطوا لهذا الجهاز اهمية لمراقبة خط سير احوال بلادهم، وأدى هذا فيما يرى مالك بن نبي — الى ان اصبحت حركة المجتمع التاريخية تسير دون مقاييس الفعالية، وسادتها فوضى فكرية فواجهت صعوبات وقفت في طريقها وحدث ضياع في الوقت، وتبديد في الوسائل ووقعت انحرافات كثيرة بسبب عدم تماسك الافكار والمناهج (٢).

ذلك أنه حدث كثيراً في البلاد الاسلامية أن وجدت نفسها بعد الثورة في وضع مرتد الى ماقبل الثورة، وربما في وضع اسوأ مما كان، وأحياناً أخرى تجد نفسها في ظل ايديولوجيات لايعرف فيها الابطال الذين سقطوا في ميدانها، الافكار التي سقطوا من أجلها، و يرى مالك بن نبي أن من غرائب مايحدث انه اذا تفطن بعض الناس و بدأوا يدركون مايحدث بعد الثورة من انحرافات، تظهر جماعة من الحكماء يعتقدون ان هذه الاوضاع ستصفى تلقائياً، و يقولون انه ينبغي ان ندع الامور تعود وحدها الى وضعها الطبيعي والى نصابها (٣).

ذلك ان المجتمع الاسلامي يواجه نوعين من الاخطاء في الثورات التي وقعت فيه أخطاء طبيعية داخلية، وأخطاء مولدة آتية من الخارج، من عالم يقوم بدور جهاز التوليد، وقد يولد التطور الثوري منذ يومه الاول على شكل ثورة مضادة مقنعة تنطلق في وقت محدد لتحتل مراكز استراتيجية قبل ان تحتلها الثورة الحقيقية، وقد تقوم في البلاد الاسلامية ثورة حقيقية أصيلة، ولكنها تتخلى رو يداً رو يداً عن مكانها لثورة مضادة تستخدم اسمها وصفاتها الظاهرة ووسائلها، لكن بغرض قتلها، وأخذ مكانها مع المحافظة على مظاهر هذه الثورة الاولى التي تصبح كالستائر التي تجري خلفها عمليات خفية لقلب خط السير، وهذه المظاهر في الواقع هي المشكلة الجوهرية في النقد الثوري فس مسرح السياسة في عالمنا اليوم، و يقول مالك بن نبي انه اذا ظهرت في العالم الاسلامي فكرة أو شخص يحمل فكرة من شأنها ان تغير مصير الامة فان المتخصصين في الصراع الفكري يحاولون ان يجدوا ثغرة من أجل منع انتشار الفكرة أو اتساع دائرة نفوذ تلك الشخصية كي لا تصل الى قلوب الجماهير، واذا استمرت المعركة دون «رادار» أو جهاز استكشاف فان ذلك ربما يؤدي الى انهيار الفكرة أو الشخص الذي يحملها، و يلاحظ أن أجهزة الاستعمار لا تفسح مجالا للنقد في الحياة السياسية في البلاد الاسلامية، خصوصاً عندما يقتضي الامر حماية ثورة مضادة في طريقها الى التكون في الظلام الذي لاغنى عنه لتخلف الثورة الحقيقية أو الاخفاء اسبابها اذا وجدت فعلا، وان خير حليف لقادة الصراع الفكري ولمحبطي الثورات هو الظلام او السكوت، وكان شعار بعض الثورات في البلاد الاسلامية في وقت مضى: [اسكتوا ولا تتكلموا فان الاستعمار يسمعنا] في ظروف تقع فيها اخطأ تدعو ضرورة البقاء الى فضحها والقضاء عليها قبل نموها واستفحالها.

ان هذه الاخطاء يمكن ان تختفي اذا ماوجد لدينا منهج شامل في السلوك السياسي وفي النظر السياسي.

فالفلسفة السياسية الشرعية مبنية على الثقة بين الحاكم والمحكوم، فالمحكوم عليه السمع والطاعة للحاكم، ولكنه يرفض السمع والطاعة في اللحظة التي يرى فيها ان الحاكم خالف الشريعة وحينئذ تصبح هذه العلاقة مقطوعة، ولايلتزم بها المحكوم تجاه الحاكم، ومن ثم فان السياسة الشرعية الاسلامية لا تكتفي بتوفر النزاهة بل لابد من توفر الدراية والحنكة السياسية الفائقة، وقد طلب أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الولاية على احد الاقاليم فلم يوله الرسول صلى الله عليه وسلم مع محبته وتقديره العظيم له.

والمدينة الاسلامية كما يقول مالك بن نبي قائمة

على مجموعة من الفضائل تتمثل في رجل السلطة وفي المحكومين، وللحفاظ على هذه الفضائل اقامت الشريعة نظام الحسبة، وهو نظام قريب مما يسمى اليوم بالنقد الذاتي لمراقبة استمرارها وفعاليتها في الحياة العامة.

ان اهتمام السياسة في البلاد الاسلامية يكسب ثقة الجمهور وهي جوهر السلوك السياسي لايتوفر لحد اليوم لدرجة عالية الا في ايران خلال الثورة الاسلامية، لانه اذا تحققت هذه الثقة العميقة التي تبني على خطاب الجمهور من خلال اعماق عقيدته وضميره، فان المجتمع الاسلامي يستجيب للثورة ولاستمرارها، والا نام في طريق التاريخ وبقي على هامشه ولا تؤثر فيه الخطب الرنانة الداعية الى ماهو غريب عن روحه.

د. عمار الطالبي
جامعة الجزائر

المراجع

١) اخرجه مسلم في كتاب الايمان من صحيحه.
٢) اللفظ لمسلم في كتاب الايمان باب وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي رواية البخاري ان أبا سعيد جذب بيد مروان حين رآه يصعد المنبر.
١) رواه مسلم في كتاب الامارة، والبخاري في كتاب الاعتصام من صحيحيها.
٢) رواه البيهقي في المشكاة: كتاب العلم.
٣) شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٤٣.
١) سنن الترمذي: الفتن، باب ماجاء في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٢) المائدة: ٧٩./ ٣) المائدة: ٩٢./ ٤) الحج: ٤١.
٥) السيد جلال الدين العمري، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الكويت ١٩٨٠، ص ٩٦.
٦) احكام القرآن، مصر ١٣٣١ ج ١ ص ٢٩٣.
١) جلال الدين العمري: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٠٥.
٢) الجصاص: احكام القرآن مصر ١٣٤٧ هـ ج ٢ ص ٤٠.
٣) روى ذلك النووي في شرح صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥.
١) امام الحرمين الغياثي، تحقيق عبد العظيم الديب الدوحة ١٤٠٠، ص ٩٨.
٢) مالك عبد نبي، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي القاهرة ١٩٧٠ ص ٩٩.
٣) المصدر نفسه ص ١٦٠ — ١٦١.

الدولة الاسلامية

«قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير، انك على كل شيئ قدير».

والحمد لله صاحب النعمة بالاسلام لا اله الا هو وحده لا شريك له نشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، اكمل الناس ايمانا وأرجحهم ميزانا. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين منهاجه والداعين بدعوته الى يوم الدين.

الدولة الاسلامية

الدولة الاسلامية هي التي تقيم امر الله فاذا كان الله جل شأنه قد أوجب علينا ان نتحاكم الى ما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وأن نحكم به، فقد أوجب على المسلمين ان ينصبوا على أنفسهم حكومة تقيم فيهم أمر الله وترعاه، ويتعبد أفرادها باقامة الحكم طبقاً لما أنزل الله تعالى، كما يتعبدون بالصوم والصلاة. والأصل في الحكومات أنها ضرورة اجتماعية لا مفر منها. فاذا كان الحكم يتميز بصفات معينة فقد وجب ان تتصف هذه الدولة القائمة عليه بنفس هذه الصفات ضمانا لنجاح الحكم. فما يستطيع فاقد الشيئ أن يعطيه وما يحسن القيام على الفكرة الا مؤمن بها. وعلى هذا فاذا وجب أن يقوم الحكم طبقا لشريعة الاسلام فقد وجب ان تكون الدولة اسلامية.

يؤمن أفرادها جميعا بالمبادئ التي يقوم عليها الحكم ويحرصون على العمل بها. واذا وجب أن يكون الحكم اشتراكيا فمن البلاهة أن يترك الحكم لمن لا يؤمنون بالاشتراكية واذا وجب أن يكون الحكم ديمقراطيا فلن يصلح له حكام يؤمنون بالديكتاتورية. ذلك هو منطق الناس وتلك هي طبائع الأشياء، فمن أراد أن يقيم الاسلام بحكومة تتحاكم الى غير شريعة الاسلام فانما يعمل على تحطيم الاسلام.

منطق التجارب

ولقد أثبتت التجارب في البلاد الاسلامية أنه لا يكفي لاقامة الاسلام أن يكون الحكام مسلمين وانما يجب أن يتحاكموا الى الاسلام ويتخذوا القرآن دستورا للحاكمين والمحكومين. وأمامنا أكثر البلاد الاسلامية لا يقام فيها حكم الاسلام ويخضع له في كل الشئون بالرغم من ان حكامها واغلب سكانها من المسلمين. بل لقد أثبتت التجارب ان الحكام المسلمين الذين يجهلون الاسلام ولا يعملون على اقامة أحكامه كانوا ومازالوا حربا على الاسلام وآلة طيلة في يد أعداء الله الذين يكيدون للمسلمين والاسلام بفصل الدين عن الدولة. وفي عهود هؤلاء الحكام الجهال استبيحت حرمات الاسلام فحرم ما أحل الله

وأحل ما حرم الله ، وانتشر الفساد في المجتمع الاسلامي وشاعت الفاحشة ، وانحسر مد الاسلام وذهبت ريحه وسيطر على بلاده وأهله من لم يكن يطمع فيهم بالأمس. بل ولا يستطيع أن يدفع نفسه. هذا هو منطق البشر ومنطق الواقع ومنطق التجارب ، كل ذلك يقضي بأن قيام الحكم الاسلامي يستوجب ان تؤلف الدول ممن يؤمن بالنظام الاسلامي وممن لا هم لهم الا اقامة الاسلام وتثبيت دعائمه.

وظيفة الدولة اقامة أمر الله

ولقد جعل الاسلام وظيفة الدولة الاسلامية اقامة الاسلام حيث افترض القرآن الكريم في الدولة الاسلامية أن تقضي على الشرك وتمكن للاسلام ، وأن تقيم الصلاة وتأخذ الزكاة ، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأن تسوس أمور الناس في حدود ما أنزل الله وذلك قوله تعالى : «وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» (النور : ٥٥) ، وقوله تعالى : «الذين ان مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» (الحج : ٤١).

والأمر بالمعروف هو الترغيب في كل ما ينبغي قوله أو فعله طبقا للاسلام. والنهي عن المنكر هو الترغيب عن ترك ماينبغي تركه أو تغيير ما ينبغي تغييره طبقاً لما رسمه الاسلام ، فاذا قامت الدولة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أقامت كل ما أمر به الاسلام وهدمت كل ما يخالف الاسلام.

ولقد أوجب علينا القرآن أن نطيع الحكام والحكومات ولكنه أوجب على الحاكمين والمحكومين اذا تنازعوا في شئ أن يردوه الى حكم الله ، وأن يحكموا فيه بما أنزل الله ، قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول» (النساء : ٥٩). ورد المتنازع فيه الى حكم الله يقتضي أن تكون الدولة وحكامها قائمين على أمر الله حاكمين بما أنزل الله على رسوله. واعطاء المحكومين حق منازعة الحكام ورد المتنازع فيه الى أمر الله يقتضي أن يكون الحكام مقيدين بأمر الله لا يسمح لهم بالانحراف عما أنزل الله تعالى.

مميزات الدولة الاسلامية

تختلف الدولة الاسلامية عن كل دولة موجودة في العالم الآن ، وعن كل دولة وجدت من قبل ، فهي دولة فريدة في نوعها متميزة عن كل دولة غيرها. وتتصف الدولة الاسلامية بثلاث صفات لا توجد في غيرها من الدول فهي اولا : دولة قرآنية ، وثانيا : دولة شورى وثالثا : دولة خلافة أو امامة.

الصفة الاولى دولة قرآنية : تتميز الدولة الاسلامية بأنها دولة قرآنية أي أنها خاضعة للقرآن وهو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. والقرآن هو دستور الدولة الاسلامية الأعلى يحكم تصرفاتها ويحدد حقوقها وواجباتها بصفة عامة ، ويرسم لها الخطوط والمناهج العامة التي لا يصح لها أن

تتعداها ويدع لها ما دون ذلك من المناهج والتفصيلات. كما أن القرآن في الوقت نفسه يبين حقوق الأفراد وواجباتهم ويحدد علاقتهم بالدولة ومدى سلطانها عليهم ومدى خضوعها لسلطانهم. ويتميز القرآن بميزات متعددة تخالف بينه وبين أي دستور آخر عرفه البشر، ويهمنا من هذه الميزات ما يأتي :

١ — انه كلام الله أوحى به الى نبيه محمد النبي الأمي ليبلغه للناس نورا يخرجهم به من الظلمات وهديا يعصمهم من الضلال «وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم. وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم. صراط مستقيم الذي له ما في السموات والأرض الا الى الله تصير الأمور» (الشورى : ٥١ — ٥٣). «وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا» (الشورى : ٧) «وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ» (الأنعام : ١٩).

٢ — أن المسلمين مكلفون باتباع ما جاء به القرآن وبالاستمساك به ، وليس لهم أن يخرجوا عليه بأية حال ، «واتبع ما يوحي اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين» (يونس : ١٠٩) ، «اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء» (الأعراف : ٣) ، اتبع ما أوحي اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين» (الأنعام : ١٠٦).

٣ — أن القرآن لا يقبل التبديل ولا التعديل لأنه من عند الله ولا مبدل لكلمات الله ، «وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحي الى» (يونس : ١٥) «واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً» (الكهف : ٢٧) ، «وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» (الانعام : ١١٥).

٤ — ان القرآن لا يقبل الزيادة ولا النقص لأنه كمل وتم بوفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وانقطاع الوحي ، أو تم قبل وفاته بنزول الآية : «اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» (المائدة : ٣).

٥ — أن القرآن لا يقبل النسخ ، ولأن الله جل شأنه ختم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الرسالات ، وجعله خاتم النبيين «ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (الأحزاب : ٤٠) ، ولأن البشر ، وهم مستخلفون في الأرض ، ليس لهم أن يخرجوا على أوامر الله الذي استخلفهم ، وليس في استطاعتهم أن ينسخوا كلامه أو يبطلوا العمل به ، فان فعلوا فعملهم باطل بطلانا مطلقا لخروجهم على حدود وظيفتهم وتعرضهم لما ليس من شأنهم ، ونستطيع أن ندلل على عدم قابلية القرآن للنسخ من وجه آخر، وهو أن القاعدة الأساسية في الشريعة الاسلامية وفي القوانين الوضعية هي أن النصوص لا ينسخها الا نصوص في مثل قوتها أو أقوى منها ، أي نصوص صادرة من الشارع نفسه أو من هيئة

لها من سلطان التشريع – على الأقل – مثل ما للهيئة التي أصدرت النصوص المراد نسخها ، فالنصوص الناسخة للقرآن يجب أن تكون قرآنا من عند الله ، وليس بعد الرسول قرآن حيث انقطع الوحي ، ولا يمكن أن يقال ان ما يصدر من هيئاتنا التشريعية البشرية في درجة القرآن أو أن لها من سلطان التشريع ما لله ورسوله ، وعلى هذا فليس في طوق البشر أن ينسخوا كلام الله أو يعطلوا العمل به .

الصفة الثانية – دولة شورية : جعل الله الشورى من لوازم الايمان ، حيث جعلها صفة من الصفات اللاصقة بالمؤمنين المميزة لهم عن غيرهم : «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» (الشورى : ٣٨) ، فلا يكمل ايمان المسلمين الا بوجود صفة الشورى فيهم ، ولا يجوز لجماعة مسلمة أن تقيم أو ترضى اقامة أمرها على غير الشورى والا كانت آثمة مضيعة لأمر الله . وأمر الله رسوله أن يشاورهم في الأمر : «وشاورهم في الأمر» (آل عمران : ١٦) . وما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم لحاجة منه الى رأيهم وانما هي فريضة فرضها عليهم ، ففرض على الحاكم أن يستشير في كل ما يمس الجماعة وفرض على الجماعة أن تبدى رأيها في كل أمورها ، فليس للحاكم أن يستبد برأيه الشئون العامة وليس للجماعة أن تسكت فيما يمس مصالح الجماعة ، وهذا يتفق مع ما يفرضه القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «ولتكن منكم أم يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (آل عمران : ١٠٤) . واذا كانت الشورى فريضة من الفرائض الاسلامية فانها ليست مطلقة بحيث تمتد الى كل أمر ، وانما تجب فقط فيما لم يقطع فيه القرآن أو السنة ، أما فيما قطع فيه القرآن أو السنة فهو خارج عن نطاق الشورى الا أن تكون الشورى في حدود التنفيذ والتنظيم لما نص عليه القرآن أو بينته السنة .

الصفة الثالثة – دولة خلافة أو امامة :

والخلافة والامامة والملك لا يقصد منها في نصوص القرآن الكريم الا الرئاسة بمعناها العام ، ولا يقصد منها الدلالة على نظام معين من أنظمة الحكم ذلك أن داود عليه السلام سمي في القرآن خليفة وسمى ملكاً «ياداود انا جعلناك خليفة» (ص : ٢٦) ، «وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك» (البقرة : ٢٥) ، كما ان ابراهيم عليه السلام سمي في موضع اماما ووعد أن يكون المهتدون من ذريته أئمة «قال اني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» بينما وصف ذريته في موضع آخر بوصف الملوك «فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما» (النسا : ٥٤) ووعد بنو اسرائيل أن يكونوا أئمة بعد استضعافهم واستعباد فرعون لهم «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» (القصص : ٥) ، فلما تخلصوا من ظلم فرعون وكونوا لأنفسهم دولة مستقلة أخذ موسى عليه السلام يذكرهم بنعمة الله عليهم ويقول لهم : «اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا» (المائدة : ٢٠) ، فالخلافة والملك والامامة مترادفات تدل على الرئاسة

العليا للدولة ، ولا تدل على أكثر من ذلك .

ونظام الدولة الوحيد الذي يعرفه الاسلام هو الحكم القائم على دعامتين : احداهما طاعة أمر الله واجتناب نواهيه ، والثانية الشورى أي أن يكون أمر الناس شورى بينهم . فاذا قامت الدولة على هاتين الدعامتين فهي دولة اسلامية خالصة ، ولتسمى بعد ذلك بالخلافة أو الامامة او الملك ، فكل هذه التسميات تسمية صحيحة لا غبار عليها .

قضية الأقليات غير المسلمة في الدولة الاسلامية

فالظاهر ان القانون الذي سنتكلم عليه الآن هو قانون الدولة العام ، لا قانون الأحوال الشخصية – ومن المسلم به – بالنسبة للأحوال الشخصية – لا ينفذ في كل طائفة الا قانونها ، وهذا حق لم يسبق الاسلام الى اعطائه لأهل الذمة بجود منقطع المثال في القديم والحديث ، بل الاسلام هو الذي نال منه أرباب القانون في العصر الحاضر درس الفرق بين قانون الدولة العام وقانون الأحوال الشخصية ، فعرفوا أن الدولة ان كان مواطنوها يتألفون من أبناء مختلف الديانات والمذاهب يجب أن لا يقضي في أحوالهم الشخصية الا حسب قانون احوالهم الشخصية . فلا تخف منا أي أقلية غير مسلمة أننا سنفرض عليها قانوننا الديني في الأحوال الشخصية . يقول القرآن الكريم حول قضية الحكم على غير المسلمين في الدولة الاسلامية : « «سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فأحكم بينهم بالقسط ، ان الله يحب المقسطين» (المائدة : ٤٣) . صدق الله العظيم .

أبو بكر جبريل محمد

خطيب جامع فرفر صكتو – نيجيريا

الفساد في الحكم

الاستاذ ابراهيم الوزير

ان قانون «اصلاح وتبدل المجتمعات» نحو الاحسن، أو تغيير المجتمعات نحو الاسوأ هو خاضع لقانون تغيير ما بالأنفس، ذلك:

«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

وان هذا التغيير نحو الاسوأ.. لا يصيب الامة جملة واحدة، وانما يسري في كيانها وتتعدد أسبابه وعوامله حتى يشل قواها وتصبح خارج «دائرة الحضارة».. وعلو المكانة والتأثير على أمم الارض.. و يوم تترشح أمة بمجموع العوامل التي تجعلها أفضل من غيرها، فبدأ «قانون الصلاحية العامة» يحلها محل الامة التي اختل ميزان الصلاحية فيها لصالح الامة الاخرى..

هكذا تداول الناس الأيام..

حضارات اندثرت من التاريخ، فلا يمكن لها عودة أو حياة.. وأمم تخرج من الدورة الحضارية لتعود اليها يوم تتوفر لها عوامل العودة..

والخروج من الحضارة يقتضي الزمن الطويل..

والعودة اليها يقتضي الزمن الأطول..

ومن الممكن التحكم في الانهيار..

ومن الممكن السرعة في الاخذ «بأسباب الحضارة»..

ومن الممكن البطء في ذلك كله..

وكل ذلك في ميادين «الايجاب» و«السلب».. الدخول في الحضارة أو الخروج منها ميدان ذلك كله هو «النفس البشرية» وما تقوم به من التغيير نحو الأحسن أو الاسوأ..

وأمتنا الاسلامية أتيح لها «النموذج الأكمل» لارق حضارة عرفها الانسان.. فهي من النواحي الاجتماعية والانسانية في الذروة، وهي من نواحي «التقدم الحديث» واضعة مقوماته وأسسه، وهي التي لولا ما أصابها من انحراف، لكانت هي المخرجة له الى دنيا الواقع، يعرف ذلك دارسو «أسس الحضارات» و«تطور العلوم والأمم»..

باستقامة النفس العربية واستعدادها للأسمى و«الأحسن» كان منها: (خير أمة أخرجت للناس).. تقود البشرية بالخير، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتغرس طمأنينة القلب، وهدوءه وسلامه في كل نفس..

و«بالتغيير» نحو «الاسوأ» بدأت تعاني داخل مجتمعها بأس بعضها بعضاً، وتسلط «الطواغيت»

على أخيارها، ولكن ما حولها من الأمم كانت أسوأ منها، فظلت لها المكانة الأولى..

كانت نقطة البداية في الانحراف: في «نظام الحكم» فقد تحول من «الاختيار الحر» «وشورى المسلمين» الى الابتزاز بالسيف والغلبة والظهور والقهر.. بدأ بالانحراف في الحكم: «الاستبداد السياسي» فتم بذلك انحلال «الرابط الاجتماعي» القائم على ارادات حرة للأمة..

و بلغ ذروته صلة العبد بربه (الصلاة) فتركت من كثيرين يحملون اسم الاسلام اسماً وهم لا يصلون، وتم بذلك الانحلال الشخصي للفرد مروراً بعدم صرف الحقوق لأهلها ــ الزكاة ــ بصفتها التأمين العام للمجتمع فتم بذلك ضياع «معنى العدل» و«تعاون المجتمع وتكافله» لتبدأ دورة التمزق والكراهية والتربص..

بذلك امحت مقومات: الروح ــ صلة العبد بربه «الصلاة»، ومقومات القيادة «الشورى» و «كرامة الحرية»، ومقومات العدالة: «التكافل الاجتماعي» الزكاة ومجمل النظام المالي الاسلامي، لا في الفكر الاسلامي فحسب بل انه نتيجة لانحراف الفكر عن مساره الصحيح، وذلك بتغلب قوى الانحراف، انحل نتيجة له الواقع الحياتي للمسلمين...

فكانت الصورة لو نقلناها الى معادلة رياضية كالآتي:

استبداد + انحلال + فقر = الانحطاط عن علو المكانة، وهكذا انحلت تلك المقومات الروحية والقيادية والاجتماعية التي هي من «خصائص الحضارة الاسلامية» التي تتميز بها، وعراها التي تستند اليها، ولكل حضارة خصائص ومميزات وعرى تتثبت بها...

ولقد حدد اسباب الانهيار هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذراً ومنبهاً، لتتداركه الامة في اي وقت تفيق من غيبوبيتها وخدرها واستسلامها:

«لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة، أولها نقضاً للحكم وآخرها نقضاً للصلاة» ، وحدد بأحاديث عدة نختار منها خمسة أحاديث ــ صورة انهيار الأمة بتحديد بداية خطر الانحراف ومن ثم انحدارها الى مستنقع الغثاء والوهن!!..

وأسباب هذا الانهيار:

- **أولها: «الخلافة».. ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً.**
- **وثانيها: ستكون بعدي «خلافة راشدة ثم ملك عضوض.. ثم ملوك جبرية ثم خلافة راشدة.**
- **وثالثها: يوشك أن تتداعى عليكم الامم من كل أفق كما تداعى الأكلة الى قصعتها..**

قيل: يارسول الله، فمن قلة يومئذ..؟

قال: «لا.. ولكنكم غثاء كغثاء السيل!! يجعل الوهن في قلوبكم و ينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا، وكراهيتكم الموت»..

بذلك القى الرسول الضوء على اسباب الانهيار:

«تسلط الطواغيت»: بترك قاعدة: «أمر المسلمين شورى»

حب الدنيا عبادة «للمال والشهوات» بترك قاعدة الحق في اكتساب الثروة والعدل في توزيعها..

«اطلاق الغرائز المدمرة» بترك قاعدة «ضوابط

الفطرة» بميزان «الشرع» في تصريف شهوات الانسان...

وهكذا سارت الامة في طريق الذل والهوان.. طريق: كراهية الموت في مجتمع فقد الحرية: بعبودية الأتباع لأسيادهم وبالانقياد للطواغيت.. وبالحرص على حياة.. أي حياة.. بديلا للجهاد وبديلا لكلمة الحق والشجاعة كذلك.

وفقد «الكرامة»: باختلال موازين الحق والعدل..

وفقد الانسانية «باطلاق الجانب الحيواني فيه» على الجانب الانساني منه» فما كان يرفعه نحو الاعالي بلا اخلال بتوازنه تحكم فيه مايهبط به نحو الاسفل باخلال تام بتوازنه..

فهل مفكرو هذه الامة المعاصرون مع «الشورى في الامر» اختياراً للحاكمين، ومراقبة لهم واستخلاصاً للرأي الرشيد أم مع الحكم الفردي وعبودية المأمور للآمر كما هو واقع السلطان في بلاد المسلمين حيث يخاف الفرد من السلطة أكثر من خوفه من الله..؟؟ وحيث تنعدم الرقابة على الحاكم ويحل محلها التملق وحيث تخطأ الجماعة ويصوب رأي الفرد..؟؟ اما للتسلط الفردي واما للدعوة الجاهلة: بأن «الشورى غير ملزمة»..!

لا تزال فئة من مفكرينا تزيف الحقائق، وتجادل تاريخياً عن الذين ظلموا متجاهلة:

«فمن يجدل الله عنهم يوم القيمة أم من يكون عليهم وكيلا»

متجاهلة مانزل بالأمة من صواعق العقوبات الآلهية الرادعة..

متجاهلة قوارع حلت وتحل في ديارهم، وقريباً من ديارهم..

متجاهلة دروس التاريخ البليغة..

كل ذلك لانها تدافع عن واقعها النفسي والعملي والحياتي المنحرف وتفضل الدفاع عن الظلام على الاقتداء والاهتداء بممثلي النور في تاريخها وذلك أوضح برهان على افلاسها من الحق..

تلك هي واحدة من عقابيل الداء الذي تعاني منه المجتمعات الاسلامية في كل مكان على وجه الأرض..

لقد تضخمت المؤلفات عن المسائل البسيطة الواضحة كالطهارة والنجاسة والوضوء، ولكن نظام الحكم والقيادة كان مختصراً موجزاً وغير متجاوز غالباً «الامر الواقع» خوفاً وفرقاً من بطش الحاكمين بأمرهم.. الا من رحم ربك من علماء الأمة وقليل ماهم...

ونعود الى احاديث الرسول سواء السبيل...

• **ورابع الاحاديث:** يبين معنى «نقض عروة الحكم» بريشة السماء ويثبت قوى الحق ويحمل اليهم بشارة الخير والنصر.

«الا ان رحى الاسلام دائرة فدوروا مع الاسلام حيث دار.. الا ان الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب.. ألا انه سيولى عليكم أمراء يرضون لأنفسهم مالا يرضون لكم فان أطعمتموهم أذلوكم وان عصيتموهم قتلوكم.. قالوا: ماذا نفعل يارسول الله؟ قال: كونوا كأصحاب عيسى عليه السلام نشروا بالمناشر، وحملوا على الخشب فوالذي نفس محمد بيده لموتة في طاعة الله خير من حياة في معصية

الله»..

ان نقض «عروة الحكم» هو افتراق الكتاب والسلطان.. فالكتاب أسس السلطان على الشورى في الأمر ولكن السلطان أقام على كسروية وقيصرية.. جاء الاسلام ليحرر الانسان من أصرها وأغلالها وحينذاك افترق السلطان والكتاب!.

• **وخامسها:** يرسم للأمة خطأها وطريق صوابها:

«انكم على بينة من أمركم مالم تظهر فيكم سكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش، وانكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، فاذا ظهر فيكم حب الدنيا: لم تأمروا بالمعروف... ولم تنهوا عن المنكر... ولم تجاهدوا في سبيل الله..

القائلون يومئذ بالكتاب والسنة كالسابقين الاولين من المهاجر والأنصار(٣٧). تلك حقائق الوحي التي نراها اليوم حية في واقع الامة منذ انحرافها وحتى هذه اللحظات من التاريخ ولكن الاسلام، بشهادة الوحي الذي ظهر في واقع الناس، لايتوقف ولن يتوقف... ودوران المسلم الحق سيظل حوله فهو فلكه الخاص به يدور به حول شمسه..

وهناك منهج للسير «الكتاب» وسلطة لتنفيذ المنهج «الدولة» وأخبرنا رسول الله في ومضة الغيب المضيئة بالوحي:

«ان الكتاب والسلطان سيفترقان» فأين هو مكان قوى الحق..؟ مكانهم أن لايفارقوا الكتاب.. مكانهم في الجهاد.. مهما كانت جسامة التضحيات حتى تستقيم الأمة على منهجها الذي يرسم لها سعادة حياتين: الاولى والآخرة...

وعوائق التاريخ سكرتان:

سكرة الحب.. وسكرة حب العيش..

وفي ظلمات ذلك سقطوا.. لم يأمروا بمعروف فتستقيم حياة..! ولم ينهوا عن منكر فيحافظوا على توازن مجتمع..!! ولم يجاهدوا في سبيل الله فيخرجوا من ذل..!!

وهناك مكان لومضات النور من طائفة الحق التي ستعيد للعالم توازنه كما أعادته مرة في التاريخ جماعة الاسلام الاولى من السابقين الأولين من مهاجرين وأنصار.

ساحة للحوار ..

خطورة ابتعاد المؤمنين عن معترك الحياة الاسلامية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونصلي ونسلم على خاتم انبياء الله ورسله النبي الأمي الهاشمي ابي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين واصحابه الميامين.

من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل سواء السبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». إذ ان الاهتمام بأمور المسلمين هو الصورة التي تشعر الفرد بأنه ينتمي إلى مجموع هو الأمة الاسلامية، وتشعر الأمة بأن هذا الفرد الراعي لشؤون اخوانه المؤمنين إنما هو ابناً باراً له.. فيكون المجتمع الاسلامي بهذا، واقعاً قائماً لمصداقية الحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى».

والاهتمام بأمور المسلمين هو السياسة بعينها فإن «السياسة» من جهة اللغة هي مصدر للفعل الثلاثي «ساس، يسوس، سياسة» ويقال ساس الخيل إذا رعى شؤونها ولين عريكتها. وساس الرعية أي اهتم بأمرها ودبر مصالحها. ومن هنا ولادراك الكافرين الخطر المتأتي على مصالحهم من اهتمام المؤمنين بالسياسة فلقد حاولوا من خلال غزوهم الفكري لعقول ابناء امتنا أن ينفروا المؤمنين من الاشتغال بالسياسة، وذلك حتى يكونوا بعيدين عن رعاية شؤونهم بتعاليم دينهم إذ يعتزلون السياسة تاركينها وراءهم ظهريا ومولينها الدبر متصورين انهم بذلك يترفعون عن مناصب الدنيا وبهارجها.

وبهذا تخلو الساحة للمستعمر وعملائه يفعلون في مقدرات المسلمين ما شاؤوا بينما يكون ذلك الصنف من المسلمين الذي ارتأوا لانفسهم العزلة سادرين في خلواتهم يسبحون ويصلون ظانين أنهم إن قاموا بذلك فلقد اقاموا الاسلام وأدوا ما عليهم وكفى!! من هنا ولهذا كله كانت فكرة العزلة واعتزال السياسة، من اخطر الافكار التي تقوض المجتمع لانها تشكل الدعم المباشر للطغاة كي يمرحوا ويسرحوا، ومن هنا كان ينبغي لفت الاذهان الى خطورتها.

أما العزلة في واقعها فهي الابتعاد عن

معترك الناس وترك الأمور في المجتمع تجري على ماهي عليه.. فإذا كان زيد في الحكم أم عمرو.. وإذا شرقت السياسة أم غربت.. أو كان الاسلام في الحكم وفي واقع الحياة ام لم يكن.. فالامر سيان عند اهل العزلة والخلوات. فهم لا يضيرهم ماذا يطرأ على المجتمع من تغيير أو تبديل. فترك الوضع القائم في المجتمع أو بمعنى أدق الابقاء عليه، هو ما يعنيه اصحاب العزلة من حيث كونهم في حالة عزلة.

على أن الاعتزال انواع واشكال، فقد يعتزل الرجل في بيته أو في زاويته وينقطع عن الناس بصورة شبه كلية – كما يفعل المتنسكين – فيكون في حالة عزلة.. وقد يخالط الناس في البيع والشراء ويكون في حالة عزلة.

فليس معنى العزلة الانقطاع عن الناس فحسب بل هي ايضا ترك الأمور في المجتمع على حالها التي هي عليه سواء أنقطع عن الناس أم لم ينقطع، لجأ إلى بيته أو زاويته ليعتزل أم ظل على علاقته وصلته بالناس. فمن لا يملك الحس السياسي – ولسنا نعني بهذا مجرد تتبع الاخبار السياسية بل نعني به المعنى الأهم أي الاهتمام الايجابي بأمور الناس – ومن لا ينظر في واقع الحياة نظرة المتفكر بها والقاصد لتوجيهها فإنه يكون في حالة عزلة ولو لم ينقطع عن الناس.

إن من يكون الاسلام لديه مجرد أماني ولا يعمل على ايجاده في واقع الحياة يكون كمن لا يهمه أمر الناس حتى وإن كان يريد أن يكون الاسلام هو حاكم الحياة وهو المتحكم في العلاقات الاجتماعية.. وهكذا فإنه يكون في عزلة سواء أقصد العزلة أم قصد اتقاء الشر واجتناب الأذى وعدم الحاق الضرر بذاته وعائلته.

والعزلة في دواعيها انما هي مزيج من الجبن والخنوع واليأس أو ضعف الثقة في النفس، لان قبول التحدي والنهوض لتحقيق الاهداف هو مظهر أصيل من مظاهر الطاقة الحيوية عند البشر وعرض مطلوب من اعراض غريزة البقاء في المرء. فلابد ان تقلع الاعراض السلبية لحب البقاء كالجبن والتردد وتوفر الشروط الموضوعية اللازمة لبروز الأعراض الايجابية لهذه الغريزة كالشجاعة والمروءة والنجدة فلابد من ايجاد ذلك في نفوس الافراد وفي روحية المجتمع حتى يدفع الكفر والفساد ويزول الظلم والاستعباد من حياة الناس.. وحتى يمكن بالنتيجة دفع التسلط الاستعماري الكافر عن كيان الامة.

إلا انه حين انتشرت فكرة العزلة بين الناس وصارت هي الطاغية في المجتمع، ازداد وقوع الظلم على الناس وكثر الهرج وعمت الفتن وصالت دول الكفر وجالت في بلاد الاسلام فزالت دولة الاسلام وانقسمت البلدان الاسلامية الى مجموعة دول وصارت تحكم بالكفر، وحينئذ عم الفساد والانحلال في كل بلد وظلت الامور على هذا الحال منذ هدمت دولة الخلافة.. ولولا فئة قليلة مؤمنة صابرة ممن انعم الله عليهم من ابناء هذه الأمة كانت تقف في وجه الكفر والكفار وتوجه الضربات لاعداء الاسلام لأوشك الفناء أن يعم الامة ولكادت أن تنمحي سمة الامة المحمدية – والعياذ بالله – تلك الامة التي

اشرقت على الدنيا طيلة قرون متطاولة على الزمن.. كانت فيها مصداقاً لقول العزيز «كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر».

فالعزلة هي من أخطر الآفات على الأمة فلابد من قلعها من جذورها.. نعم قد رويت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) احاديث في العزلة والهروب من الفتن. فقد قال – عليه الصلاة –: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن». صدق الله العظيم. ولكن هذا الحديث وغيره من الاحاديث خاصة في الفتن وفي حال ما إذا كانت الحرب بين فئة «ظالمة» وأخرى على الحق فيقصر نظر المسلم عن معرفة صاحب الحق أو قد يجهله فحينئذ يجوز له أن يعتزل. أما إذا عرفه فلا يحق له أن يعتزل بل عليه أن يقاتل الفئة الظالمة ويقف إلى جانب الفئة المحقة.

وأما إذا كانت الفئتان بغاة ففي هذه الحالة ليس عليه أن يقاتل وله الفرار من الفتنة واعتزالها. فهذا ما تعنيه احاديث العزلة والهروب من الفتن فالعزلة خاصة في حال الفتن. أما في غير ذلك فإن المسلم مأمور بأن يهتم بأمر المسلمين كأن يمنع عنهم أذى الحاكم أو كأن يغير عليهم في حال ظهور الكفر في ديارهم أو في حال خلو الأرض من وجود خليفة المسلمين، ومأمور ايضا بأن يحمل راية الجهاد في جميع الاحقاب فإن الجهاد ماض الى يوم القيامة مع كل أمير لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر.

لذلك فإن العزلة في غير الفتن لا تجوز مطلقاً ويحرم على المسلم أن يقف متفرجا على الاحداث ومعتزلاً التأثير فيها. وعليه أن يكافح الكفر والكفار والفساد في كل مكان وزمان مهما بلغت سيطرة الفاسدين والطغاة.

يصور القرآن العظيم حال الداعين الى السلبية والعزلة وحال الفاهمين لدين الله بقوله تعالى: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون» فنفسية المؤمن تأبى أن تكون كنفسية المتخاذلين وهي تسعى إلى إقامة الحجة وتتفاءل بإمكانية تبدل الحال الى ما يروحون، هذا التفاؤل هو حاصل طبيعي لايمانهم بصحة افكارهم ومعتقداتهم وموافقتها للعقل السليم.

«مر رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذب فأعجبته لطيبها فقال: لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك لرسول الله فقال: لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً»

والناظر في السيرة النبوية وفي التاريخ الاسلامي في عصور الازدهار وحتى في عصور الانحطاط يجد أنه لم يخل عصر من وجود قائم لله بحجة ووجود من يكافح الكفر والفساد ويقف بوجه الكافرين والفاسدين.

غير ان المسلم بطبيعته – بأثر هذا الدين فيه – طاقة متحركة وقوة ايجابية بناءة للخير هدامة للظلم.. فإذا كان في بلاد الاسلام

عمل لانهاض أمته واقامة حكم الله في دياره ودخل في صراع مع الحكام الكفرة والظالمين فعمل على الاطاحة بكل منحرف وسعى لتوحيد العالم الاسلامي في ظل دولة واحدة لا جامعة دول ولا اتحاد جمهوريات!! نعم المسلم الحق الفاهم لدينه والمطبق لشرع ربه يسعى الى اقامة الدولة الاسلامية الواحدة.

وإذا كان في بلاد الكفر ظل يعمل من أجل انهاض المسلمين ودخل في صراع فكري مع أهل الاديان الأخرى ممتثلاً بذلك بقوله تعالى: «إدعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتي هي أحسن».

فالمسلم أي مسلم هو حامل دعوة للاسلام أينما كان وحامل الدعوة اليوم هو كحامل الدعوة بالأمس فيه القدرة على إعادة الاسلام في بلاده وحمله إلى العالمين.. ذلك ان حامل الدعوة لا يعيش إلا على أفكارها ولا يرغب إلا بحياة في ظلها ومن أجلها.

فيا ابناء امتنا الاسلامية المجيدة ليكن نصب اعينكم العودة بأمة محمد الى مركز صدارة العالم فهذا هو مكانها الطبيعي. عار علينا أن نترك قيادة العالم لعلوج كفرة، ونحن من بين ظهرانينا رسالة محمد.

ح. آل بيان

باختصار ...

● نشرت السفير اللبنانية أن بيانا وزع في مدينة طرابلس يحمل توقيع الشباب الفلسطيني المسلم يدعو الشعب الفلسطيني الى العودة الى الله والجهاد الحقيق وتحرير العقول والقلوب من الحقد والكراهية والتمسك بالبندقية المسلمة والتلاحم مع المقاومة الاسلامية وأعلن البيان رفض كل الحلول الاستسلامية المفروضة من أئمة الكفر في العالم وكل القرارات والاتفاقات التي صدرت منذ احتلال أول شبر من فلسطين.

★ في اثناء معرض الكتاب الدولي في القاهرة قام الشباب المسلم من ابناء حركة الجهاد الاسلامي بالمشاركة مع بعض القوى المعارضة للنظام المصري، قاموا بالتظاهر احتجاجاً على اشتراك اسرائيل في معرض الكتاب كما قاموا باحراق العلم الصهيوني في المعرض والجدير بالذكر ان حركة الجهاد الاسلامي عقدت اجتماعاً جماهيرياً في احد اكبر مساجد القاهرة «مسجد النور» في العباسية وذلك بعد خطبة الجمعة التي القاها الشيخ عمر عبد الرحمن.

● حذر الرئيس المصري حسني مبارك من أنه اذا لم يتحقق تقدم سريع في تسوية النزاع العربي الاسرائيلي قد يتعاون الفلسطينيون المسلمين المتشردين الناشئين فيطرحون على العالم «مشاكل عويصة» !

وكشف مبارك في حديث نشرته مجلة «الاوبرزرفر» أنه حاول اقناع الولايات المتحدة بالعلاقة بين مشكلة فلسطين والعنف الاسلامي وأشار الى الوضع اللبناني مؤكدا انه لا يمكننا وقف العنف عبر استخدام العنف.

★ أكدت مجلة «آخر ساعة» القاهرية نقلا عن مصادر دبلوماسية ان خليل الوزير (ابو جهاد) قد قام بزياره سريعة للقاهرة في شهر يناير المنصرم. وأجرى خلالها محادثات سرية مع المسؤولين في الخارجية المصرية وقالت آخر ساعة ان ابو جهاد جاء للقاهرة للتشاور وعرض آخر نتائج النشاط الديبلوماسي الفلسطيني على مبارك والحكومة المصرية.





★ تم التوقيع على اتفاقية «لوقف الحملات الاعلامية» بين النظام المصري والنظام الليبي بالاضافة الى تنشيط مجالات التعاون الاعلامي بين البلدين، وهذا الاتفاق يعتبر اول اتفاق مصري ــ ليبي منذ اكثر من عشر سنوات، و يعتبر المراقبون أن توقيع هذا الاتفاق مؤشراً على رغبة النظامين في استئناف السعي النشط للدبلوماسية المصرية في تقوية علاقات مصر العربية كتوطئة للاعلان عن استئناف العلاقات مع الدول العربية والمقطوعة منذ عام ١٩٧٧.

★ صرح رئيس مجلس الشوري الاسلامي حجة الاسلام هاشمي رفسنجاني في مؤتمر صحفي أنه لن يكون بوسع الرئيس السوري حافظ الاسد أن يأتي لطهران ليتكلم عن وساطة تنهي حرب الخليج ثم اضاف قائلا بلهجة ساخرة «ان الرئيس الاسد يقف بجانبنا في هذه الحرب فكيف يمكن ان يتوسط؟» وقال ايضاً: ان سورية يجب عليها مرة أخرى ان توضح موقفها ومن الجدير بالذكر ان عبد الحليم خدام عندما زار ايران في وقت لاحق أبلغ بأنه لن يتمكن من مقابلة الامام الخميني. وطلب خدام ان يلتقي بأية الله منتظري لكن طلبه هذا قوبل بالرفض أيضاً.



★ نفت مجلة الرائد في عددها الصادر في ١٩٨٥/٢/٥ ان يكون للاستاذ عصام العطار اي دور في الاتفاقات التي جرت بين بعض الفصائل الاسلامية في سوريا وبين النظام السوري ودعت الذين يدعون ان الاستاذ العطار قد أستشير بشأن المفاوضات أن يتحروا الدقة فيما ينقل من الاستاذ العطار وعدم الادعاء عليه بشيء لم يقله، كما انها أكدت على ضرورة استقاء الاخبار والمعلومات من مصادرها الاصلية.



★ تحت عنوان تأثير القومية على الامة الاسلامية سيقوم المعهد الاسلامي في لندن بعقد ندوته السنوية هذا العام، حيث ستتركز محاور البحث على: رؤية القومية من خلال القرآن والسنة ـ العوامل التاريخية التي ادت الى الاوضاع الحالية من حياة الامة الاسلامية ـ كيف اثرت القومية على الحركة الاسلامسة المعاصرة وكيف يمكن مواجهة هذه التأثيرات.

★ الوساطة التي قام بها نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام قد اخفقت في رأب الصدع القائم بين ابو صالح ومجموعة المنشقين عن فتح وقالت بعض المصادر ان وساطة خدام كانت تستهدف اعادة الاعتبار الى ابو صالح في صفوف المنشقين الامر الذي يفسره بعض المراقبين كمحاولة سورية لاعادة التماسك للمنشقين واعطاءهم فرصة جديدة في مناوئة ياسر عرفات وفي تكوين منظمة تحرير فلسطينية جديدة.



★ من ضمن المواضيع التي تم الاتفاق عليها بين نائب الرئيس الامريكي بوش وبين حاكم السودان جعفر النميري، أن تدفن الحكومة الامريكية النفايات الذرية في التراب السوداني ومن المعلوم أن هذه ليست المرة الاولى التي تفكر فيها الحكومة الامريكية في دفن نفاياتها الذرية في احدى البلاد الاسلامية فقد سبق للسادات أن وافق على دفن النفايات الذرية في مصر الا ان المعارضة الشعبية لهذا المشروع من جهة ومقتل السادات من جهة ثانية قد وأد هذا المشروع الامر الذي حدا بالحكومة الامريكية للبحث عن مكان آخر فوقع أختيارها أخيراً على السودان.



★ اعلن الاستاذ عمر التلمساني خلال اجتماع لجنة الشؤون الدينية لمجلس الشعب أنه لم يتفق مع احد على التراخي في تقنين الشريعة الاسلامية ولكنه دعا الي التدرج والتأني في التطبيق مما فسره البعض بأنه تراخ وتراجع وقال اننا لانقبل أن نتبادل الهجوم وتوجيه الانتقادات خارج هذا الاجتماع وعلى صفحات الصحف. ومن جانبه رفض الشيخ صلاح ابو اسماعيل الأخذ بمبدأ التدرج وتنقية القوانين الحالية وطالب بضرورة الأخذ بمبدأ التقنين والتأصيل للعودة الى التراث الفقهي الاسلامي والاسراع بالتطبيق وقال ان الشرعية القانونية المعمول بها في مصر تتعارض مع الشرعية الاسلامية.



لا تصالح

شِعـر: أمـل دنقـل

لا تصالح ولو منحوك الذهب
لا تصالح على الدم حتى بدم
لا تصالح ولو قيل رأس برأس
أكل الرؤوس سواء
أقلب الغريب كقلب أخيك
اعيناه عينا أخيك
وهل تتساوى يد سيفها كان لك
بيد سيفها أثكلك
سيقولون: جئناك كي تحقن الدم
جئناك كن ياأمير الحكم
سيقولون: ها نحن أبناء عم
قل لهم: انهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك
واغرس السيف في جبهة الصحراء
الى ان يجيب العدم
انني كنت لك
فارسا واخا وأبا وملك

• • •

لا تصالح ولو توجوك بتاج الامارة
كيف تخطو على جثة ابن ابيك
وكيـف تصير المليك
على اوجه البهجة المستعارة
كيف تنظر في يد من صافحوك
فلا تبصر الدم في كل كف
ان سهماً اتاني من الخلف
سوف يجيئك من الف خلف
لا تصالح ولو توجوك بتاج الامارة
ان عرشك . . سيف
وسيفك . . زيف
ان لم تزن بذؤابته لحظات الشرف
واستطبت حياة الترف
لا تصالح ولو قال من مال عند الصدام
مابنا طاقة لامتشاق الحسام
عندما يملأ الحق قلبك
تندلع النار ان تتنفس
ولسان الجريمة اخرس
لا تصالح ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام
وارو قلبك بالدم
وارو التراب المقدس
وارو اسلافك الراقدين
الى ان تجيب العظام

لا تصالح ولو ناشدتك القبيلة
باسم حزن الجليلة
ان تسوق الدماء
وتبدى لمن قصدوك القبول
سيقولون هاانت تطلب ثاراً يطول
فخذ الآن ماتستطيع
قليلا من الحق في هذه السنوات القليلة
انها ليس ثارك وحدك،
لكنه ثار جيل فجيل
وغداً سوف يولد من يلبس الدرع كاملة
يوقد الحرب شاملة
يطلب الثار، يستولد الحق من أضلع المستحيل
لا تصالح ولو قيل ان التصالح حيلة
انه الثار تبهت شعلته في الضلوع
اذا ماتوالت عليه الفصول
وتبقى يد العار مرسومة بالخمس
فوق الجباه الذليلة
لا تصالح فليس سوى ان تريد
أنت فارس هذا الزمان الوحيد
وسواك المسوخ
لا تصالح.. لا تصالح.. لا تصالح..

